الحكمة .. والمثل .. والتمثيل

نظرات فى أصولها وخصائصها الفنية

تأليف

أ . د . / عبد العظيم المطعنى

أستاذ البلاغة والنقد غير المتفرغ

كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

إيتاى البارود

تتفاوت قيم الكلام كما تتفاوت قيم " النقود " فهى قد تتساوى فى "العـــدد" ولا تتساوى فى " القيمة " فقطعة واحدة منها تساوى فى القيمة عشرات القطع ، بل مئاتها ، وإن أطلق على كل منهما رقم واحد .

أو تتفاوت قيمه – أى الكلام – تفاوت قطعتين من " المعادن " وزنـــهما واحد ، فليس مثقال من " الفضة " يعدل مثقالا من " الذهب " ولا مثقـــال مـــن " النحاس " يعدل واحدا منهما ، وإن اتحد الوزن .

أو كما تتفاوت قيم " الحجوم " المتماثلة فى المقدار ، إذا اختلفت طبيعـــة المادة المكونة لها ، لأن الحجوم لا ينظر فيها عند " الموازنة " والتقويم إلى ما يشغله كل حجم من الفراغ ، وإنما ينظر فيها إلى أعيانها وأجناسها .

بم يتفاضل الكلام ؟

هذه مثل ثلاثة لتفاوت قيم الكلام . فهو لا ينظر فيه إلى طوله وقصـــوه، وكونه كلاما وكفى ، وإنما ينظر فيه إلى مضامينـــــه ومعانيـــه وتراكيبـــه ، ومبانيه ، وبقدر مـــا يحمله الكلام من تلك الخصائص تكون قيمه ، وبها يقـــدم كلام على كلام. وفى الحكم والأمثال والتمثيل تظهر خصائص الكلام البليغ فى مبانيه ومعانيه ، وتجمع بين الإقناع والإمتاع وهما غايتان تضفيـــــان علـــى الكلام الذى يؤديها جمالاً وسحراً ، وروعة وخلابة ، وبـــها صـــارت الحكـــم والأمثال حكما وأمثالاً ، فخف محملها على اللسان ، وثقل وزنهما ، وتغنـــــت بها الركبان ورددتها الأفواه فى كل محفل وحلى بهما جيد كـــل كـــلام بليـــغ وأصاب الرامى بهما شوارد العقول ، وحاز محاسن النقول ، فهو بها – أبدا – لا يكبو له جواد ، ولا هاض له جناح ولا نكس له سهم .

ثناء النقاد على الحكم والأمثال

وقد أطنب العلماء والنقاد فى الثناء على هـــذا الضـــرب مـــن البيـــان واستجلاء خصائص النظم فيه ، وقوة أسره وجماع بلاغته.

يقول جار الله محمود بن عمر الزمخشرى : " هى قصـــارى فصاحـــة العرب العرباء ، وجوامع كلمها ، وبيضة منطقها ، وزبدة حوارها وبلاغتـــها التى أعربت بها عن القرائح السليمة ، والركن البديع إلـــى ذرابـــة اللســـان ، وغرابة اللسن ، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالت المغزى ، ولوحت فأغرقت فى التصريح ، وكنّت فـــأغنت عـــن الإفصـــاح ، وللنثر أنّى سلكت أثناءه طلاوة ، وللشعر كيف انساقت فى تضاعيفه متانـــة .. حتى شبهوا بها كل سائر أمعنوا فى وصفه ، وشارد لم يألوا فى نعته" . ([1])

ونقل الميدانى ، وغـــيره ، عـــن إبراهيـــم النظـــام نصـــا فـــى هـــذا المعنى : هو مع وجازته أبلغ ما قيل عن الحكـــم والأمثـــال ، وهـــو قولـــه : " يجتمع فى المثل أربعة ، لا تجتمـــع فـــى غيـــره مـــن الكـــلام ، إيجـــاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشـــبيه ، وجـــودة الكنايـــة فـــهو نهايـــة البلاغة ". ([2])

قارن هذا الكلام بكلام الزمخشرى تجده على قصره البالغ قد جمع مـــا تفرق فى كلام الزمخشرى ، فالرجلان ينزحان من بئر واحـــد وإن اختلفـــت الدّلاء .

ويستشهد أبو هلال العسكرى على بلاغة هذه الأســـاليب مـــن القـــرآن الحكيم ، فيقول :

([1]) مقدمه المستقصى ج١ ص ب ، ج .
([2]) مجمع الأمثال ٦/١.

" ثم إنى رأيت حاجة الشريف إلى شئ من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن ، كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة ، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً ، ويكسبه قبولاً ، ويجعل له قدراً فى النفوس ، وحلاوة فى الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثا على حفظه ، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة ، والاستظهار به أوان المحاولة فى ميدان المجادلة ، والمصاولة فى حلبات المقاولة وإنما هى فى الكلام كالتفصيل فى العقد ، والتنوير فى الروض والتسهيم فى البرد ، فينبغى أن يستكثر من أنواعه ، لأن الإقلال منها كاسمه إقلال ، والتقصير فى التماسه قصور وما كان منه مثلا سائرا فمعرفته ألزم به لأن منفعته أعم ، والجهل به أقبح".([1])

نقلنا نص أبى هلال بطوله ، لأن أبا هلال أديب بلاغى ناقد لذا تراه بعد أن أجمل القول فى صدر كلامه ، عاد فأوضحه بثلاث صور تشبيهية : فشبهه مرة بالتفصيل فى العقد وهو اختلاف حياته فى التلوين ، ومرة بتفتح النور فى الروض المزهر ومرة بالتلوين فى خطوط " البرود " المحبرة .

ويعزى ابن قيم الجوزية الأمثال إلى ثمرات العقل ، ويفوه بما لها من جمال المعنى فيقول :

" الأمثال شواهد المعنى المراد ، وهى خاصية النقل ، ولُبّه وثمرته". ([2]) .

ويوجز ابن رشيق جمال المثل وبلاغته فى الإيجاز والصدق ، قال : " المثل السائر فى كلام العرب كثير نظما ونثراً ، وأفضله أوجزه ، وأحكمه أصدقه " .([3])

([1]) مقدمة جمهرة الأمثال ١/٤.

([2]) أعلام الموقعين ١/٢٣٩

([3]) العمدة ١/٢٨٠ .

ويذكر طائفة من أمثال القرآن ، والبيان النبوى ، ثم يردفها بنصـــوص شعرية وركز على رأى أن فيه أكثر من مثل واحد فى البيت الواحـــد وأورد ضمنها بيتا للقرزاز - السفاط ، وقال إن أمثالاً خمسة قد حواها ، وهو قوله :

خاطر تفد ، وارتد تجد ، وأكرم تَسُد وانقد تقد ، واصغر تعد الأكبرا (١)

وليس فى البيت - هنا أمثال - وإنما هى حِكَم . وسوف نعود لإيضـــاح هذا عند التفرقة بين الحكم والأمثال .

أمـــا التمثيل ، فهو على ثلاثة أنواع كما سيأتى ، فإن الإمام عبد القاهر الجرجانى قد أفاض فى الكشف عن الأسرار البيانية لنوع منـــه واســتقصى وجوه القول فى استكناه بلاغته وأثـــره فـــى النفـــوس ، وتبعـــه الخطيـــب والشراح ، وسيأتى الحديث عنه فى شىء من التفصيل إن شـــاء الله (٢) .

وصانعو الأمثال - ابتداء - اجتهدوا من أجلها ، فأودعوهـــا ثمـــرات عقولهم وخالص تجاربهم ، والألفاظ والمعانى فيها تراهـــا تتناســـب تناســـبا عكسيا : لفظ موجز قصير ومعنى كثير وفير ، هذا هو الغالب فيها ، وكـــأنَّ صانعيها قصدوا ذلك قصدا حتى تخف على اللسان ، فيسهل استعمالها ويكـــثر إيرادها ، ويشيع أمرها ، ويسرع معناها إلى القلب كلمح البصر . والى هـــذا المعنى يشير أبو هلال بقوله :

" ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف فـــى أكـــثر وجـــوه الكـــلام وتدخل فى جل أساليب القول ، أخرجوها فى أقواها مـــن الألفـــاظ ، ليخـــف استعمالها ، ويسهـــل تداولها ، فهى مـــن أجـــل الكـــلام وأنبلـــه ، وأشـــرفه وأفضله ، لقلة ألفاظها ، وكثرة معانيها ، ويسير مؤونتها على المتكلـــم ، مـــع

---

(١) السابق ١/٢٨٤.

(٢) أى عند بيان أنواع التمثيل المتقدم ذكرها آنفا .

كبير عنايتها ، وجسيم عائدتها ، ومن عجائبها أنها تعمل عمل الإطناب ولـها روعة إذا بـرزت فى أثناء الخطاب ، والحفظ موكل بما راع من اللفظ ، وبما ندر من المعنى " . ([1])

الدلالة اللغوية لمادة " حِكَم "

تدور مادة (ح ك م) فى اللغة حول معانى الضبط والمنع ، والحـذق والإصابة ، وتأتى وصفا للأفعال والأقوال فى المحسوسات والمعقـولات وإذا أخذنا بالرأى القائل " إن المعانى المحسوسة سـابقة وجـودا علـى المعـانى المعقولة ، وأنها أصل لها وعنها تولدت .فإن ما يتبادر الى الذهن من معنـى هذه المادة هى " حَكَمَةُ الفرس " لأنها المحسـوس البـارز فيـها . وحكمـة الفرس لها معنيان فى معاجم اللغة . نص الجوهرى على أحدهمـا ، ونـص الزبيدى على الإثنين معا .

قال الجوهرى :

" وحكمة اللجام ما أحاط بالحنك " . ([2])

أما الزبيدى فقال :

" والحكمة محركة ما أحاط بحنكى الفرس .. من لجامه سـميت بذلـك لأنها تمنعه من الجرى الشديد .. وقال ابن شميل : الحكمة حلقة تكون فى فـم الفرس " ([3])

وتلخص من هذا أن حكمة الفرس أو الدابة بوجه عام هى :

(أ) ما أحاط بالحنك من سير اللجام المصنوع من الجلد السميك .

([1]) جمهرة الأمثال ١/٥.

([2]) الصحاح (ج ٥ ص ١٩٠٢) .

([3]) تاج العروس (ج ٨ ص ٣٥٣) .

(ب) الحديد المقوسة التى توضع فى فم الفرس أو الدابة ، وتشـــد وترخـــى بواسطة سير اللجام الممسوك طرفه بيد الراكب .

وما نقله الزبيدى عن ابن شميل أقوى ، لأن الذى يؤثر فـــى ضبـــط حركة الفرس إنما هو " الحديد " الموضوعة فى فمها ما أحاط بحنكها من سير اللجام وتأثير يشبه تأثير " السنارة " التى تصاد بها الأسماك .

ووظيفة " الحكمة " ضبط حركة الدابة وكبح جماحها ومنعها من الاندفاع والانحراف والتمكن من وقفها من السير حين يراد ذلك ، فـــهى تقـــوم مقـــام جهازى التوجيه والتوقف فى مقاود السيارات الحديثة سواء بسواء .

وهذا المعنى جدير بأن يكون أصلا لكل ما ورد فـــى تصريفـــات هـــذه المادة فالحَكَم وهو : القضاء المانع من نزاع الخصوم ، ونقل الزبيـــدى عـــن الأزهرى أن قوما خصوه بالقضاء العادل ([1]) ، لأنه يكـــون أقطـــع للعـــذر . صالح ([2]) لأن يكون متفرعا عن المعنى الذى تقدم فى حكمة الدابة ، وكذلـــك " الحاكم "و " الحكيم " و" الإحكام " و" المحكم " و" الحِكْمة " .

فالحاكم هو السلطان ، والشأن فيه أن يسوس الأمـــور ويمنـــع تنـــازع الرغبات والشهوات والحكيم هو المجرب للأمور الضابط لتصرفاته والقـــائل المصيب والفاعل المجيد ، والإحكام هو الإتقـــان والحـــذق ، والمحكـــم هـــو المتقن ، والحكم هو المانع من الفوضى والاضطراب . والحكمة هى ما أصاب المرمى من قول أو فعل . وحكيم الحكماء هو " الله " لأن قوله وفعله وتصرفه هو " عين الحق " سام فوق كل مقال .

وهكذا إذا تتبعنا ثقبات المادة فإن معانيها يصح إرجاعها الى ما تقدم من معنى " حكمة الدابة " :

([1]) نفس المصدر والموضع .

([2]) صالح هو خبر عن " فالحاكم فى أول الفقرة "

وقد جاءت " أحكم " بمعنى نهى ، وذكر صاحب التاج حديثا عن ابن عباس فى هذا المعنى ([1]) والنهى منع ، والمنع هو معنى حكمة الدابة .

ويؤيد هذا أن الفيومى ذهب الى القول بأن " الحِكَمة " التى تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل مشتقة من " حكمة الفرس " أو الدابة الممتطاة بوجه عام " ([2]).

الدلالة اللغوية لمادة " مثل "

فى كتب اللغة يكاد ينحصر معنى المَثَل ، والمِثْل والمثِل فى التنظير والتشبيه والفضل وقوة الظهور ، وفى معنى " صفة " مضافة لما بعدها . فإذا زيد فيها " تاء الافتعال " كقولنا : " امتثل " دلت على المطاوعة والاتباع وقد تزداد التاء مع حرف آخر كقولنا " تماثل " فتدل على بدء الأخذ فى الشىء ، كتماثل المريض للشفاء . وقد تزداد الألف بعد التاء ومنه : تِمثْال وتَمثْال بكسر التاء فى الأولى وفتحها فى الثانية ومعنى الأولى بمعنى التمثيل فى كونه مصدرا لمثل المضعف العين ، وعنى الثانية الصورة . والمثول ــ بزيادة الواو : القيام والانتصاب ، وجاء منها : المثال بمعنى الفراش . والأمثل والمثلى بمعنى الأفضل والفُضلى ، والمَثُل جمع مُثْله بمعنى العقوبة والعقوبات والمَثْل بفتح فسكون ــ التنكيل بالقتيل بجدع أنفه وقطع أطرافه " ([3]) .

وهذه المعانى على اختلافها ترجع إلى المقارنة بين شيئين هذا هو الغالب فيها وما خرج عن هذا المعنى يمكن إرجاعه إليه عند التحقيق ،وأشد خروجا عنه – فى الظاهر – كونه بمعنى العقوبة والتنكيل والفراش ، وهذه يمكن حملها عليه ، لأن العقوبة البالغة تصبح ماثلة فى الأذهان وتصور

([1]) تاج العروس ٢٤٥/٨(حكم) .

([2]) المصباح المنير (١٤٥) " مثل " .

([3]) انظر الصحاح ١٨١٦/٥ والتاج ١١٠/٨ والمصباح المنير ٥٦٣ "مثل" .

الناس للزجر والاتعاظ يؤيد هذا قوله تعالى :- ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الرعد : ٦) فسياق الكلام يدل على التعجب من شأنهم حيث يستعجلون السيئة ، وما فعله الله بأمثالهم ماثل لهم كأنهم يرونه ، فكان حريا بهم أن يرتدعوا وفاصلة الآية " لشديد العقاب " تؤذن بهذا المعنى .

قال ابن جنى – عقب هذه الآية : أى العقوبات التى تزجر عن مثل ما وقعت لأجله ، ويحتمل أنها التى تنزل بالإنسان فتجعل مثالا ينزجر به ويرتدع غيره " (١) .

وكذلك التنكيل بجدع الأنف وقص الأطراف صورة بشعة تُمثُل للنفس وتقر . فالصورة الذهنية فى هاتين تماثل الصورة الحسية التى وقعت ، وأما كونها بمعنى " الفراش " فقد تأولته تأويلا أسعدنى أن ابن جنى صرح به فقال : " والمثال الفراش وهو شىء يماثل ما تحته وما فوقه " (٢) .

والخلاصة : أن مادة (م ث ل) فى اللغة تأتى لمعانٍ كثيرة بالتصرف فى الصياغة وأن هذه المعانى ترجع الى أصل عام واحد ، وإن شذ بعض المعانى عنه ، فهو شذوذ من حيث الظاهر ، وعند التحقيق تلتقى كل معانيها فى التصوير والتجسيم والمماثلة .

الحكمة والمثل فى الاصطلاح البلاغى

الحديث عن الحكمة وضبطها ومعرفتها يتضح بيسر بعد بيان المراد بالمثل وضبط معناه ومعرفة خصائصه الفنية لذا سنرجئ الحديث عن الحكمة بعد الفراغ من الحديث عن المثل ، وإن تقدمت فى الترجمة .

---

(١) مقاييس اللغة ٥/٢٩٧.

(٢) السابق .

أما الحديث عن المثل فسنشطره شطرين كبيرين :

الأول : بيان المقصود اصطلاحا من مادة " م ث ل " فى أشهر تصريفاتـــها : مَثَل ، ومِثْل ، ومثيل .

الثانى : بيان المقصود من المثل ، وهذا التقســـيم مـــهم بالنســـبة لموضـــوع الدراسة ، فقد وقفت فيها على خلط كثير وقع فيه بعض الكاتبين قديمـــا وحديثا . فرأيت من الواجب أن نحرر القـــول فيـــها قـــدر الطاقـــة ، مستمدين الدليل والشاهد من أنماط التراكيب الفصيحة وبخاصة البيـــان القرآنى الحكيم ، والبيان النبوى الشريف مضافا إليـــهما نمـــاذج مـــن التراث العربى : شعره ونثره .

أدوات التمثيل

نقصد من أدوات التمثيل تصريفات المادة المشار إليها ، وهـــى مَثَـــل ، ومِثْل ، ومثيل ، فقد خصها الاصطلاح بالتشبيه ، والتنظير ، والمساواة بيـــن أمرين أو عدة أمور ، والكاتبون لا يفرقون – غالبا – بين تصريفات المـــادة الثلاثة ، فهى عندهم بمعنى واحد وهو التشبيه كما مـــرّ ، يقـــول الميدانـــى : أربعة أحرف سمع فيها فَعَل وفِعَل ، وهى مَثَل ومِثْل وشَبَه وشِبْه .. وفعيل فى ثلاثة من هذه الأربعـــة يقال هذا مَثيله وشبيهه وبديله .. غـــير أن المِثْـــل لا يوضع موضع هذا المثل وإن كان المَثل يوضع موضعه .([1])

وخلاصة كلام الميدانى أن مَثَلَ مثْل شَبَه ومِثْل كشِبْه ، ومثيل كشـــبيه . غاية ما فى الأمر فإن مِثْل لا توضع موضع المَثَل المشبه مع جـــواز وقـــوع المَثَل موضع المِثل .

([1]) مجمع الأمثال ١/٦.

وفى كلام الميدانى غموض ووضوح ، فالغموض فى تجويزه وضع مَثَل موضع مِثْل ، وهذا غير واضح الدلالة على المراد منه . والوضوح حيث قابل بين مَثَل وشَبَه ومِثْل وشِبْه ، ومثِيل وشبيه ، فجعلها كلها أدوات تشبيه ، وليس الأمر كما قال ، وسنبين وجه الصواب فى هذه الكلمات : مَثَل ومِثْل ومثِيل إن شاء الله . وقصدنا من نقل كلامه أنه لم ير فرقا بينها ، وهذا من الخلط الـــذى أشرنا إليه .

وكذلك سلك أبو هلال ، فلم يفرق بين مَثَل ومِثْل فى جعل كل منهما أداة تشبيه فقال : أصل المثل التماثل بين الشيئين فى الكلام ، وهو من قولك هـــذا مثلى الشىء كما تقول شَبَهُهُ وشِبْهُه " . (١)

وذهب ابن رشيق مذهبهما فى عدم التفرقة فقال : " المَثَل والمِثْل الشـــبيه والنظير . (٢)

ويشيع فى كتابات المعاصرين أن يصدروا كتاباتهم فى هذا الفن بقولـــه : المَثَل والمِثْل والمثِيل كالشبه والشبه والشبيه .

يعنون بهذا أن كل هذه الكلمات تفيد معنى التشبيه دون تفرقـــة ومـــن العلماء من استشعر وجود فرق بين مَثَل ومِثْل ، فابن العربـــى ـ مثـــلا ـ يرى أنهما ليستا سواء ، وزعم أن الفرق بينهما أن (مَثَل) بفتح الميـــم والثـــاء تستعمل فى تشابه المعانى المعقولة وأن (مِثْل) بكسر الميـــم وســـكون الثـــاء مخصوصة بتشابه الأشخاص المحسوسة (٣).

ونحن مع ابن العربى فى التفرقة بين الكلمتين ، ولسنا معه فى الفـــرق الذى ذكره لأن كلامه فى حاجة الى تحقيق ، لأن الواقع يدفعه جملة وتفصيلا.

---

(١) جمهرة الأمثال ١/٦ .

(٢) العمدة ١/٢٨٠ ت : محمد محى الدين عبد الحميد .

(٣) شرح الترمذى ١/٢٦٥ .

وأول ما يعترض به على كلام ابن العربى ورود الكلمتين فى البيان القرآنى – وهو أفصح الأساليب – على غير ما ذكره فقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾(الفتح : ٢٩).

وقوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ (الكهف: ٤٥) .

وقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾(الحديد : ٢٠)

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.(يونس: ٢٤)

فى الآيات الأربع الحكيمة جاء المشبه به صورة حسية بلا أدنى جدال وإن كان الوجه معقولا . أما المشبه فهو فى الأولى " مثلهم " وفى الثانية " مثل الحياة الدنيا " وفى الثالثة " حال الدنيا فى ازدهارها ونموها وسرعة زوالها وتذبلها " ، وفى الرابعة " مثل الحياة الدنيا " ولم تخل واحدة من الصور المشبهة فى هذه الآيات الأربع من اعتبار بعض العناصر الحسية فيها ، فهى جميعها مزيج من الحسيات والمعقولات .

ومقتضى كلام ابن العربى أن لا تأتى " مثل " إلا لتشابه المعقولات ، ولو كان الأمر كما قال لما جاء شىء منها هكذا فى القرآن الكريم ، وورودها فى القرآن على هذا الوجه يبطل ما ادعاه ابن العربى بلا نزاع هذه واحدة .

والثانية فإن " مثل " فى هذه الآيات لم تأت فى واحدة منها أداة تشبيه وإنما أتت إما مشبهة هى بغيرها " مثلهم .. كزرع " وأما مشبها بها غيرها

" كمثل غيث " بدليل دخول حرف التشبيه عليها . وهذا يبطل ما ادعاه آخـرون ــ ومنهم ابن العربى ــ أنها تأتى أداه تشبيه ، وهى لم تأت أداة تشبيه لا فـــى هذه النصوص ، ولا فى غيرها قرآنا وغير قرآن ؟

وخرجت " مِثْل " عما قرره ابن العربى كما خرجت " مَثَل " بمجيئها فى تشبيهات المعقولات ، كما جاءت " مَثَل " فى سياق المحسوسات .([1])

ومن مواضع خروج " مِثْل " قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَـــا يَعْلَمُـــونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـــابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .(البقرة : ١١٨) .

فليس المراد تشبيه قول بقوله فى كونه لفظا ، بل المراد تشـــبيه القـــول الأول بالقول الثانى فى أن كلا منهما باطل وتكذيب ولا تـــدل المثليـــة علـــى التماثل فى نفس القول ، بل يحتمل أن من قبلهم اقترحوا غـــير ذلـــك ، وأن المثلية وقعت فى اقتراح ما لا يليق سؤاله ــ وإن لم تكن نفس تلك المقالة ، إذ المثلية تصدق بهذا المعنى . ([2]) وكذلك قوله تعالى : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْـــلِ مَـــا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا ﴾ .([3])

فإذا تجاوزنا اختلاق العلماء فى " بمثل " هل الباء زائدة أم مثـــل هـــى الزائدة أم لا زيادة فى شىء منها وهو الصحيح ، فإن الذى لا خلاف فيـــه أن مثل هنا لتشبيه إيمان بإيمان فى أن كلا منهما صـــدق ، والإيمـــان أمـــر معنوى معقول لا محسوس ، وغير ذلـــك وارد فـــى القـــرآن الحكيـــم ، إذن

([1]) قلنا فى سياق المحسوسات ولم نقل فى تشبيهات ... " لما علم من أنها ليست أداة تشـــبيه قط .

([2])البحر المحيط لأبى حيان ١/٣٦٧.

([3]) انظر البحر المحيط ، والكشاف ، وتفسير أبى السعود فى تفسير هذه الآيات من ســـورة البقرة الجزء الأول .

فإن ما ذهب إليه ابن العربى ليس بمسلم له،لمجيء أفصح الأساليب على خلافه .

وفى حديث له ﷺ جاءت هذه العبارة :- " تعرض الفتن على القلوب مثل الحصير عودا عودا " (١)

وعرض الفتن على القلوب أمر معنوى معقول ،وليس محسوسا ففى الكلام تشبيه معنى بحسى لا تشبيه حسيين كما هو مقتضى كلام ابن العربى؟!

ومن الشعر الفصيح المحتج به عند علماء اللغة العربية :

تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا (٢).

والمعنى تزود فينا زادا مثل زاد أبيك . والمراد بالزاد الممدوح هنا إنما هو صنائع المعروف الجميل وليس زادا حسيا .

الفروق كما ينبئ عنها الاستعمال بين مِثْل ومَثَل

لم يستقم ما ذكره ابن العربى من فرق بين مِثْل ومَثَل لمخالفة الكلام الفصيح لما قال . وتحديد الفرق بينهما إنما يرجع فيه الى النصوص الواردة فيها والموازنة بين دلالتها ، وهذا ما نعرض له الآن ، على أننا سنقدم البيان القرآنى فى الاستدلال والاستشهاد ، لأنه أبلغ الكلام وأفصحه ، ونثنى بالبيان النبوى ، لأنه أرفع أساليب البشر ثم يستوى عندنا بعد ذلك كلام الأقدمين والمحدثين .

---

(١) الترغيب والترهيب .

(٢) البيت لجرير : انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٣٢/٦ والموازنة للآمدى (٢٩٢/١) .

ففى حديث القرآن عن المنافقين جاء قوله تعالى :- ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾ البقرة :(١٧)

وقوله جل ثناؤه :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾البقرة (١٩: ٢٠)

فى الآية الأولى مثل الله حال المنافقين بحال من استوقد ناراً وما استتبع ذلك من أوضاع تضامت وانتظمت فتكون من مجموعها الصورة المشبه بها .

وفى الآيتين (١٩،٢٠) مثل حالهم بحال ذوى صيب فيه ظلمات ورعد وبرق وتقلب أحوالهم النفسية فى خضم هذه الظاهرة المخيفة ، وهى صورة حسية شبهت بها حال المنافقين وسلوكهم مع الدعوة وصاحبها ﷺ .

وفى فضل المنفقين فى سبيل الله وابتغاء مرضاته جاء قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة : ٢٦١) .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ (البقرة : ٢٦٥)

والمشبه به فى هاتين الآيتين صورة أو هيئة تركيبية تألفت من عدة عناصر ، فهى فى الأولى حبة واحدة تفرعت عنها سبع سنابل (هكذا) وكل

سنبلة أفرخت مائة حبة (هكذا) وهى صورة حسية ماثلة أمام النظر لمن تأمل وهى صورة عجيبة إذا لا عهد للزراع بمثلها ، تقرب للأفكار تكثير الله لثواب المنفقين المخلصين .

وهى فى الثانية جنة بربوة (هكذا) جنة فيها أشجار مختلفة متعـــددة ، نزل عليها مطر غزير فأنماها وباركها فأثمرت بما حلا وطاب وأمتع ، كـــل نوع من أشجارها يثمر فى حينه وهكذا يستمر إثمارها فى كل حين ، فخيرهـــا لا ينقطع وثمارها ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ (١) فإن لم يصبها مطر غزير أصابها ما خف منه ، فهى على كل حال جنة مثمرة لأن أعمال الخير تتفـاوت فى نفسها ويتفاوت ثواب الله عليهما . والله يضاعف لمن يشاء.

وسياق الآيات الأربع يدلنا على حقيقتين بارزتين :

أولاهما : القرآن الحكيم لم تر فيه كلمة " مَثَل " إلا مشبهة ومشبها بها وليســت هى أداة تشبيه فى نفسها كما يدل عليه ظاهر كلام القوم .

والثانية : أنها لم تأت فيه إلا فى سياق تشبيه إما طرفاه مركبان معا كما فـــى تمثيلى حال المنافقين السابقين ، أو أحد طرفيه مركب وهو- هنـا- الثانى دائما ، أى المشبه به ، ولم تأت لتشبيه مفردين قط.

هذا منهج أسلوبى بيانى مطرد فى القرآن الحكيم ولم يتخلف فى موضـع واحد من مواضع ورود " مَثَل " فيه :

استعمال " مِثْل "

أما " مِثْل " فدلالتها فيه تختلف عن دلالة " مثل " اختلافـــا بينـــا ومـــن أمثلتها قوله تعالى :

---

(١) سورة الواقعة الآية ٣٣.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(الكهف :١١٠)

وقولـــه تعالـــى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهـــنَّ ﴾
الطلاق : ١٢)

وقولـــه تعالـــى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام : ١٦٠) .

وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾(البقرة: ١٠٦)

وهذه الآيات تكشف لنا القرآن حقيقتين أخريين بارزتين :

أولاهما : أن القرآن الحكيم لا ترد فيه كلمة (مِثْل) إلا فـــى تشـــبيه طرفين لا تركيب فى واحد منهما ، ولا تركيب فى وجه الشبه فالآية الأولـــى تفيد مجرد التشبيه والتنظير فى (العدد) بدليل اختلاف حقائق السموات عـــن حقائق الأرض .

والآية الثانية تفيد مجرد التشبيه والتنظير فى (النوعية) فالجزاء مـــن جنس العمل ، والآية الرابعة تفيد مجرد التشبيه والتنظير بين معجـــزة قائمـــة وأخرى منسوخة أو مُنَساة .

والحقيقة الثانية : أن (مِثْل) فى القرآن الحكيم إنما هى أداة تشبيه فلـــم تقع مشبهة ولا مشبها بها على خلاف كلمة (مَثَـــل) فيـــه حيـــث اختصـــت بالتراكيب وبكونها مشبهة أو مشبها بها لا أداة تشبيه .وعلى هذا المنهج نفســـه سار البيان النبوى الشريف فى إيراد هاتين الكلمتين .

فقد وردت فيه طائفة من الأحاديث بنى الأمر فيها على التمثيل بكلمـــة (مَثَل) مشبهة ومشبها بها للجمع بين صورتين أو تركيبين معناهما كلـــى لا إفرادى .

وقد جمع الإمام الترمذى (١) سبعة عشر حديثاً منها ، ومن ذلك :-

---

(١) ووردت متفرقة فى الصحيحين وغيرهما .

قوله ﷺ (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير).

وقوله : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قـــوم اســـتهموا علـــى سفينة).

وقوله : (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة منه) .

وقوله : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثـــل الحنظلـــة طعمها مُرّ ولا ريح لها ومثل المنافق الذى يقـــرأ القـــرآن كمثـــل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها) .

فهذه الأحاديث الأربعة مثل الآيات الأربع التى شبه فيها مَثَل بمَثَل فـــى أن طرفى التشبيه فيها مركبان إما معاً ، وإما الطرف الثانى هو المركب وذلك مطرد فيها ، وكذلك وجه الشبه لا يأتى معها إلا مركباً ولا شأن لها قط بتشبيه المفردات .

والمعانى التى اشتملت عليها الأطراف فى هـــذه الـــتراكيب القرآنيـــة والنبوية معان كلية يسهب مفسرها إذا أراد الإيجاز فى بيان دقائقها . كمـــا أن كلمة " مَثَل " جاءت فيها مشبهاً ومشبهاً بها وليســـت أداة تشـــبيه ، وهاتـــان الحقيقتان قد رأيناهما بوضوح فى النصوص القرآنية المتقدمة .

(دلالة مِثل فيهما)

ودلالة مِثْل " فى الأدب النبوى كدلالتها فى القرآن الحكيم فهى فيـــه أداة تشبيه للتنظير بين المفردين ، ولا تركيب فى طرفىّ التشبيه معها . ومن ذلـــك قوله ﷺ " : -

" إن أحدكم يُجمَع خلقُه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم ينفخ فيـــه الروح ..([1])

وقوله : " أنه من أحيا سنة من سنتى أميتت بعدى فإنه له من الأجـــر مثل مَنْ عمل بها "..([2])

وقوله : " ومن سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده ، كتـــب لـــه أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شئ ، ومن سن فى الإسلام سنـــة سيئـــة فعمل بها بعده ، كتب عليه مثل وزر من عمل بها .. ([3])

فلم تَعْدُ " مِثْل " فى هذه النصوص أكثر من مجرد " التنظير " بين المدد الثلاث الممكوثة فى بطن الأم فى الحديث الأول ، ولا أكثر من مجرد التنظـير بين أجر وأجر ووزر ووزر فى الحديثين الثانى والثالث.

وصفوة القول أن (مَثَل مِثْل) تسيران فى القرآن والبيان النبوى علـــى منهج واحد ولا شذوذ فيها فيما نعلم .

" مَثَل " خاصة بالتراكيب والمعانى الكلية ، وهى إما مشبهة أو مشـــبه بها ولا تأتى أداة تشبيه قط .

" مِثْل " خاصة بالمفردات فى اللفظ والمعنى ، وهى أداة تشبيه كيفمـــا كانت .

دلالتهما فى التراث

وفى التراث العربى : شعره ونثره لم تختلف دلالتا الكلمتين عما ثبـــت لهما فى البيان القرآنى ، والبيان النبوى ولكن فرقا جليا يلحظ الباحث بين هـذه

([1]) الشيخان وأبو داود والترمذى .

([2]) الترمذى بإسناد حسن .

([3]) مسلم والترمذى .

المصادر الثلاثة ، لا من حيث اختلاف الدلالة ، ولكن من حيث ورود الكلمتين (مِثْل ومَثَل) فيها .

فكلمة " مَثَل " وردت بكثرة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وكذلك كلمة " ومِثْل " وأما فى التراث الإسلامى فإن كلمة " مَثَل " نادرة الورود ندرة ملحوظة ، فعلى كثرة ما اطلعت لم أعثر لها فى الشعر إلا على ثلاثة مواضع وفى النثر على موضع واحد .

أما كلمة " ومِثْل " فهى كثيرة الورود فى الشعر والنثر ، وهى فى الشعر أكثر منها فى النثر فيما أرى .

ولعل السر فى ذلك أن كلمة "مِثْل" أخف مؤنة من كلمة "مَثَل" وأن عقد المقارنات بين " الإفراديات " أكثر خطورا على قرائح الأدباء من عقدها بين الصور والتراكيب ، فإذا احتاجوا لعقدها بينها أسعفتهم أدوات التشبيه الأخرى " كالكاف وكأن " فآثروها على كلمة " مَثَل " لخفتها . وبقى سبب آخر أراه فى هذا الملحظ ، وهو أن الأصل فى " مَثَل " أن تستعمل فى كل ما اشتهر من صور المماثلات والتنظيرات الطارئة ، أو ما حقه أن يكون كذلك .

ولهذا كانت " مِثْل " آلف عند الأدباء والشعراء من " مَثَل " فكثر طروقهم لها ، لأنها أسلس انقيادا ، وأوثر مهدا ، وأوطأ ظَهْراً .

فمن النادر ما نقله الزبيدى عن ابن الأعرابى :-

من لم يضع بالرملة المعاولا يلقى من القمامة مَثَلا ماثلا .

وهو أحد تصاريف الكلمة ومعناها : جهدا جاهدا ([1]) فهو بهذا الاعتبار لم يُرد منه تشبيه شئ بشىء .

([1]) تاج العروس (ج٨ ص ١١٢)

ومنه ما استشهد به البيانيون فى التشبيهات المركبة :-

فى شجر السرو ومنهم مثل له رواء وماله ثمر (١)

ومنه قوله كعب بن زهير فى لاميته المعروفة التى أنشدها أمام الرسول عليه السلام :-

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدهـــا إلا الأبـــاطيل.

ومن النثر قول الإمام على رضى الله عنه وكرم وجهه : إنمـــا مثَلـــى ومَثَل عُثمان . كمَثَل أثوار ثلاثة أسود وأبيض وأحمر كنَّ فى أجمه ومعـــهن فيها أسد ، فكان لا يقدر منهن على شئ لاجتماعهن.

فقال للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل علينا فى أجمتنـــا إلا الثـــور الأبيض فإن لونه مشهور ، ولونى كلونكما ، فلو تركتمانى آكله صفـــتْ لنـــا الأجمه : فقالا دونك فكله ، فأكله ثم قال للأحمر : لونى لونك فدعنـــى آكـــل الأسود لتصفو لنا الأجمة ، فقال : دونك فكُلْه فأكله ، ثم قال للأحمـــر: إنـــى آكلك الآن لا محالة ؟ فقال دعنى أنادى ثلاثا فجعل ينادى : ألا أنى أكلت يـــوم أكل الثور الأبيض ؟ (٢)

كلمة " مَثَل " فى هذه النصوص جاءت مشبها بـــها ومشـــبهة وطرفـــا التشبيه معها تراكيب وليسا أفرادا ، ووجه الشبه مركب مثلها وبيت ابن لنكـــك من التشبيه المقلوب – فيما أرى – لأنه جعل المتحدث عنها أصلا فى " العقم " ثم حمل شجر السرو عليهم ، فهو على حد قول الشاعر :

فى طلعة الشمس شئ من محاسنها وفى القضيب نصيب من تثنيتها.

---

(١) الإيضاح ١١٢/٨ والبيت لابن لنكك .

(٢) مجمع الأمثال ٢٥/١ وهو مثل يضرب لمن فرط ثم ندم .

أما كلمة "مِثْل" فكثيرة ذائعة ، يستوى التمثيل لـــها وعدمــه لشــهرة ورودها ، ومن ذلك الكثير قول الفرزدق يهجو جريرا :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم واعتد أن أهجو كليبا بدارم (١)

وقوله :

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا (٢)

وقول كعب بن سعد :-

مالام نفسى مثل نفسى لاتم ولاسدً فقرى مثل ما ملكت يدى (٣)

ومن أمثلتها فى النثر قول من اعترض على حكم رسول الله فــى ديَــة الجنين الذى ولد ميتا بغرة .

"يا رسول الله : أأدى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ومثــل ذلك يطل ". (٤)

وقول خالد بن صفوان يذم المزح :-

" يشق أحدكم أخاه مثل الخردل ، ويفرغ عليه مثل المرجل ، ويرميــه مثل الجندل " ؟ ثم يقول إنما كنت أمزح . (٥)

فهذه ثمانى مرات ترد فيها كلمة "مِثْل" فلا تفيد أكثر من تمثيل مفــرد بمفرد ، وتنظير معنى بمعنى ، لا تركيب فى واحد منهما ، ومثيل كمِثْل ، ولم

---

(١) معاهد التنصيص ٤٧/١.

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ٤١/٣.

(٣) معجم الشعراء للمرزبانى (٤٣٢) .

(٤) البخارى (٧-٢٦) ومسلم (٥-١١١) والبيان والتبيين (١-١١٢) .

(٥) مجانى الأدب (٣-١٢٠) .

نعثر على شاهد لها إلا ما يساق فى المؤلفات فى شرح معنى التمثيل حيث يقولون :-

المَثَل والمِثْل والمثيل كالشَّبه والشَّبه والشبيه ، وهذا القول مسوق على عواهنه للفروق الكثيرة بين " المَثَل " و "المِثْل " والمثيل من جهة وبين الشَّبه والشَّبه والشبيه من جهة أخرى ، ولفارق مهم سوف نذكره بين مادة (م ث ل) عموما ، ومادة (ش ب ه) ونثبت فيما يلى أبرز ما نراه من فروق بين " مَثَل " بفتح الميم والثاء ، " مِثْل " بكسر الميم وتحمل عليها نظيرتها " مثيل ":

(أ) كلمة " مَثَل " تأتى فى سياق التنظير بين الصور والهيئات ، فلا يصاحبها فى هذا الشأن إلا التراكيب .

أما كلمة " مِثْل " فتأتى لمجرد التنظير والتشبيه بين مفردين ، ولا شأن لها بالتراكيب .

(ب) كلمة " مَثَل " تأتى فى سياق التشبيهات والتنظيرات المشهورة أو ما حقه أن يكون كذلك .

أما كلمة " مِثْل " فالأصل فيها – كما تفيد دلالة الاستقراء – أن تأتى للتشبيه العارض واللمحة البارقة .

(ج) كلمة " مَثَل " لا تأتى إلا مشبها ومشبها به ، وليست به ، وليست هى – فى نفسها – أداة تشبيه ، كما يفهم من ظاهر الكلام ، أما كلمة " مِثْل " فهى أداة تشبيه كيفما وقعت .

(د) كلمة " مثل " الأصل فيها أن تدخل عليها أداة تشبيه ، وهى هنا الكلف وحدها كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (البقرة :١٧)

وقوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ . (الأعراف : ١٧٦)

وقوله سبحانه ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ (الحديد : ٢٠) وقوله الرسول ﷺ : (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ...) (١) فإن لم تدخل عليها أداة تشبيه فهى للتأكيد ، وإن صاحب حذف الأداة حذف الوجه صار التشبيه بليغا .

أما كلمة " مِثْل " فلأنها هى نفسها أداة تشبيه فلا تدخل عليها أداة أخرى ودخول الأداة عليها نادر كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى:١١) حتى ذهب بعض المفسرين الى القول بزيادتها . (٢)

(٥) كلمة " مَثَل " شائعة كثيرة الاستعمال فى البيان القرآنى والبيان النبوى وهى تؤدى فيها دورا بيانيا عظيم الشأن فى التربية والتوجيه والتوضيح ، وتبرز مكونات المعانى والأحاسيس والمشاعر فى معارض بلاغية آسرة ، فيها للعقول إقناع وللعواطف ، إمتاع أما فى أدب البشر من الشعراء والناثرين فهى نادرة الورود قليلة الماء .

(دلالتا شبْه ومِثْل) :

ظاهر كلام المصنفين أن (شبه ومِثْل) دلالتهما واحدة ، لذا تراهم يقابلون بين (مَثَل وشَبَه ومِثْل وشِبْه ، ومثيل وشبيه) ولكن التذوق والواقع والاستعمال ، كل هذه المصادر تشعر بوجود فارق كبير بين دلالتى هذه الكلمات ، فذوات الميم والثاء واللام معناها مباين نوعا ما لمعنى ذوات الشين والباء والهاء بعد التقائها جميعا فى أصل الدلالة وهى التنظير بوجه عام فإذا كان التشبيه يتحقق بوجود – وصف مشترك بين الطرفين أو أوصاف فإن من حق التمثيل أن يتعدى هذا الحد ، فتكون دلالته على أن الطرفين يشتركان فى

---

(١) البخارى .

(٢) رد القول بالزيادة العالم الملهم المرحوم محمد عبد الله دراز ، ولم يكتف بنفى الضرر من وجود " الكاف " بل أثبت لها مزايا بيانية قيمة (نظرات جديدة فى القرآن (١٣٢) .

أوصاف كثيرة حتى يظن أن كلا من الطرفين هو الآخر ، أو يشـــتركان فـــى جميع الأوصاف وتكون المماثلة – عند التحقيق – غير المشابهة ، فالمماثلـــة تقتضى الاشتراك فى جميع الأوصاف المعتبرة والمشابهة تقتضى الاشـــتراك فى وصف واحد ، أو أوصاف بحيث يكون المختلف فيه ، أكثر من المشـــترك فيه وفى المماثلة يصلح كل من الطرفين لأن يكون مشبها به لانعدام التفـــاوت بينهما ، فليس واحد منهما أصلا ولا الثانى فرعا محمولا عليه ، بل ذلك مـــن خواص التشبيه ، فإذا خرج به على هذا النسق عد التشبيه مقلوبا وليس هـــذا بوارد فى التمثيل .

والدليل على ذلك أن القرآن الحكيم وكذلك الحديث الشـــريف ، جـــاءت فيه (مِثْل) أداة للتشبيه فى ما فيه مماثلة ، تامة بين الطرفين ، ومـــن ذلـــك ﴿ اللَّـــهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْـــعَ سَمَاوَاتٍ وَمِـــنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (الطـــلاق :١٢) لأن المراد مجرد التساوى فى العدد (سبع وسبع) لا تفاوت فى هذا الوجه .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُـــمْ صَاعِقَـــةً مِثْـــلَ صَاعِقَـــةِ عَـــادٍ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت : ١٣)

ومن الأحاديث مرت طائفة فيها مماثلة ، تامة بين مـــدة مكـــث خلـــق الإنسان فى بطن أمه أربعين يوما لكل طور من الأطوار الثلاثة النطفة والعلقة والمضغة ،ومماثلة تامة بين أجر وأجر ، ووزر ووزر وهذا المعنى الذى تفيده (المماثلة) هو المعنى الذى يفيده (التشابه) بين الطرفين ، المستشهد عليـــه بقول أبى اسحق الصابى :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتـــى فمن مثل ما فى الكأس عينى تسـكب
فو الله ما أدرى أبـــا لخمر أسلبت جفونى أم من عبرتى كنت أشرب (٢)

---

(١) يتيمة الدهر (٢-٢٣٣) .

قال العباسى معلقا عليها :

والشاهد فى هذا ترك التشبيه ، والعدول إلى الحكم بالتشابه ! ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به ، احترازا عن ترجيح أحد المتساويين فى وجه الشبه فإن الشاعر لما اعتقد التساوى بين الخمر والدمع ، ولم يعتقد أن أحدهما زائد فى الحُمرة والآخر ناقص به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه .([1])

وهذا ملحظ دقيق المسلك يستبين به الفرق بين دلالتى التمثيل والتشبيه بالمعنى الذى أشرنا إليه ، وبه يظهر ما فى التسوية بين هذه الأدوات من تسامح فقد رأينا الفروق بين دلالة (مَثَل) ودلالة (مِثْل) ثم الفرق بين دلالة التمثيل والتشبيه وإن اشتركا فى الأصل العام للدلالة ، وهو التنظير والاتفاق ، وهذا سر من خصائص اللغة العربية التى اختارها الحكيم الخبير لغة لكتابه ووعاء لوحيه الصادق الأمين الذى أعجب أرباب اللسن وأمراء البيان .

(الحكمة والمثل فى الاصطلاح)

نبدأ حديثنا هنا بسؤال : ما الفرق بين الحكمة والمثل فى الاصطلاح ؟ أهما بمعنى واحد أم مختلفان ؟

والإجابة تتلخص فى الآتى : حقيقةً يُطلق على المثل حِكمة ومجازا أو اتساعاً يُطلق على الحكمة (مثل) .

هذه خلاصة موجزة وأمينة لصلة الحكمة بالمثل ، وصلة المثل بالحكمة.

([1]) معاهد التنصيص ٢/٥٩ .

فالمثل حكمة ، والحكمة ليست مثلا فهما – كما يقال – بينـــهما عمـــوم وخصوص . والصحيح هو التفرقة بينهما على الوجه الذى قدمنـــاه وإن كـــان بعض الباحثين يسوى بينهما ولا يفرق .

وقد نقل الميدانى جملا فى تعريف المثل وحـــده ، فنقـــل عـــن المـــبرد قوله : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به الحال الثـــانى بـــالأول والأصل فيه التشبيه ([1]) ثم استطرد فقال :

(فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيـــل .

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد .([2])

ثم ذكر رأى ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضـــروب ويوافـــق معناه معنى اللفظ ، شبهوه بالمثال الذى يعمل عليه غيره .

ثم قال : " وقال غيرهما : سميت الحكم القائم صدقها فى النفوس أثـــالا ، لانتصاب صورها فى العقول مشتقة من المثول الذى هو الانتصاب ." ([3])

وفى نقل الميدانى عمن لم يسمه الجمع بين الحكم والأمثال ، فقد قـــال : سميت الحكم الماثل صدقها فى العقول أمثالا .

ومعنى هذا أن ما تحقق صدقه من الحكم فهى أمثال وحكم معا . وما لـــم يتحقق صدقه منها فهى حكم .

أما أبو هلال فقد فرق بين الحكمة والمثل بأن المثل حكمة فى الأصـــل ، ولكنه سار واشتهر فصار مثلا ، وهذا نصه :

([1]) انظر مجمع الأمثال (ج١ ص ٢٦) .

([2]) انظر مجمع الأمثال ١/٢٥-٢٦ .

([3]) جمهرة الأمثال ٧/٧ ت: تحقيق د . عبد المجيد قطامش وأبو الفضل إبراهيم .

(ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا ، وقد يأتى القائل بما يحسن أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا) وكلام أبى هلال غير دقيق إذ جعـــل الفرق بين الحكمة والمثل مجرد الشهرة ؛ لأن من الحكم ما هو سائر مشهورة ولا يطلق عليها " مثل " .

والتفرقة الحقه بين الحكمة والمثل إنما تكون على الوجه الآتى:

المثل لابد فيه من ستة أمور :

١. الإيجاز .
٢. الإصابة .
٣. التشبيه .
٤. الشهرة .
٥. المورد .
٦. المضرب .

فهو " قول موجز صائب يشبه فيه مضربه بمورده "، وهذا الضابط بيـن مستقى من أقوالهم المتعددة فى تحديد المثل .

أما الحكمة فتشترك مع المثل فى :

الإصابة _ الإيجاز ، وليس التشبيه ولا المضرب من شروطها ، وقـــد تشاركه فى الشهرة ، لكن لا تخرج بها عن معنى الحكمة لعدم إفادتها التشـبيه وبهذا يتضح الفرق جليا بين ما هو مثل حقيقة ، وما هو حكمة ، وبدهـــى أن تشبيه المضرب بالمورد هو أهم ما بين الحكمة والمثل من فروق فهو فصـــل المقال بينهما .

تحليل صور من الحكم والأمثال

اتضح لنا الفرق نظريا بين الحكمة والمثل فى الفقرات السابقة وهـــذه صور منها يتضح لنا الفرق عمليا منها بين الحكم والأمثال :

- رأس الحكمة مخافة الله .

- العقل السليم فى الجسم السليم .
- الحياء نظام الإيمان (نسبه الشريف فى " المجازات النبوية " للنبى عليـــه السلام) .
- ما حكَّ جلدك مِثْل ظفرك .
- الغنى فى الغربة وطن ، والفقر فى الوطن غربة ؟
- إذا أقبلت الدنيا على شخص أعطته محاسن غيره ، وان أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . (من كلام الإمام على فى نهج البلاغة).
- العيال سوس المال .
- شهداء الحق أيتام الخلق . من الأقوال المعاصرة .
- شهداء الحق أيتام الخلق . من الأقوال المعاصرة .
- الدنيا جيفة فإن أردت منها شيئا فاصبر على مهارشة الكلاب .
- أحسن الى من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتـج الى من شئت تكن أسيره (من كلام الإمام على رضى الله عنه) .

هذه الأقوال كلها حكم لا أمثال : إذ لم يُرد به تشبيه المناسبة التى قيلـت فيها بالمناسبة التى وردت فيها لأول مرة . وإنما يذكرها من يذكرها فى درج الكلام لإيضاح معنى أو تقريره وتوكيده : وبعضها يشترك مع المثل والشـهرة والذيوع كالحكمة الأولى والثانية والرابعة والسابعة .

وكلها تشترك مع المثل فى الإيجاز والصدق والإصابة وقوة التأثير فـــى النفس . فلا حكمة مثل مخافة الله ، والجسم إذا لم يكن به إلا مـــرض العقـــل فكفاه مرضا .

والحياء يحفظ الإيمان كما يحفظ النظم حبات العقد . والإنسان لا يجيد أداء واجباته ومواجهة مشكلاته أحد سواه . والغنى يجد راحة واحتفاء فى كل مكان نزح إليه أما الفقير فلا وزن له فى حساب الناس ولو بين أهله وعشيرته ، فإذا اغترب ازداد هوانا .

والناس يجعلون من ملك مالا أو جاها وينسبون إليه فضائل ليست فيه تملقا ونفاقا .

ومن تعاديه الدنيا عاداه الناس وعدوا محاسنه مساوئ وفى هذا المعنى يقول القطامى :

الناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى ولأم المخطئ الهبل .

ويقول آخر :

تحالف الناس والزمان فأينما كان الزمان كانوا
عاداتى الدهر نصف يوم فاتكشف الناس لى وبانوا

ويقول ثالث فيحسن أيما إحسان :

إذا محاسنى اللاتى أدلُّ بها عُدتْ عيوبا ، فقُل لى كيف اعتذر

وذو العيال كثير النفقة فكأن من يعولهم آفات لما له يبددون فى يوم ما يجمعه فى شهر .

والإخوان المخلصون زينة فى الرخاء وعون فى البلاء يثقل بهم وزن صديقهم ويشتد أمره .

والذين يقولون الحق لا يرضون الناس ، لأن الحق يثقل محمله على ذوى الأهواء ، وأنصار الزيف والباطل ، يحبون المنافق اللئيم ويبغضون

الجرىء الأمين : فهو يتيم الكبار فى الأرض ثقيل الظل كـــأن كلامـــه علقـــم يتجرعه السامع ولا يكاد يسيغه ؟

والإحسان إلى الناس : وبخاصة الكـــرام الطبـــع منـــهم يملـــك عليـــهم مشاعرهم .

وقد جلبت النفوس على حب من أحسن إليها : فاللهم لا تجعـــل لفاســـق علىَّ يدا فيحبه قلبى (١) .

كما أن الاستغناء عما فى أيدى الناس يضع صاحبه فى درجة مســـاوية لهم لا عليه ولا له وفى الأثر . " ازهد فى ما فى أيدى الناس يحبك الناس " .

أما الاحتياج الى الناس فنتيجته على النقيض مـــن الإحســـاس إليـــهم : فيصبح المحتاج أسيرا لهم لا يخالف لهم أمرا ، ولا يعصى لهم هوى إنه رقّ مقنع تنحط فيه الأقدار وتنقلب الموازين .

فها أنت ترى صدق تلك " الحِكَم " وإصابتها مقاتل المعانى ؛ فهى زبـــدة تجارب ذكية ، ووليدة فكر حصيف .

ولو لم يكن فى هذه " الحكم " إلا فضيلة الإيجاز لكفاها سحرا وجمـــالا ، فكيف إذا انضم إليه صدق المعنى وإحكام النظم والتأثير وشاعت فيها الفنـــون البلاغية بلا تكلف ولا استكراه .

فتأمل سحر الاستعارة المكنية فى رأس الحكمة ، والسجع اللطيف فـــى : العقل السليم فى الجسم السليم ، والتشبيه البليغ الآسر فـــى " الحيـــاء نظـــام الإيمان " والكناية البديعة " ما حك جلدك مثل ظفرك " وقارنها بقـــول طرفـــة ابن العبد :

إذا كنت لا تستطيع دفع منيّتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدى .

---

(١) آثر وارد .

تجدها أجمل موقعا ، وأكثر دلالة ، وأبدع خيالا ، وأوجزها لفظا.

والمقابلة الحكيمة والعكس والتبديل فى : الغنى فـــى الغربـــة وطـــن ، الفقر فى الوطن غربة ...؟

وكذلك الاستعارة المكنية والمقابلة الجميلة فى إذا أقبلـــت الدنيـــا علـــى شخص أعطته محاسن غيره ، وان أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه ؟ .

والتشبيه البليغ فى " العيال سوس المال وما يشى به من خيـــال بديـــع " ومثله التشبيه البليغ والجناس المسجوع فى " شـــهداء الحـــق أيتـــام الخلـــق " وروعة الإضافة فى " أيتام الخلق " أى أنهم ليسوا أيتاما حقيقة ولكن النـــاس يعاملونهم معاملة الأيتام فلا يكترثون بهم ، لأنهم ليسوا لهم آباء أحياء يتملقـــهم الناس بالإحسان إليهم .

واقرأ الحكمة العاشرة بشعبها الثلاث تجد لها حلاوة وسحرا وقوة ألفـــاظ وإحكام بناء وتآزر معان ؛ وحسن تشبيه وأنغام أسجاع ، حتى لتبدو وكأنـــها عقد مرصع ضم إلى روعة نظمه كرم معادنه . نعم : إن من البيان لسحرا .

أما الحكمة الأخيرة (الدنيا جيفة فإن أردت منها شيئا فاصبر نفسك على مهارشة الكلاب) فهى من أبلغ ما قيل فى ذم الدنيا وطلابها الذيـــن لا هم لـــهم سواها ، فهى تطالعك بتشبيه بليغ يشى بمعنى رائـــع ، صارت الدنيـــا فيـــه " جيفة " فهى فى أول أمرها تبدو صيدا سمينا ، ولكن سرعان ما تتعفن وتبلى ، فتزهدها الطباع السليمة ، بل تنفر عنها نفورا . ثم تنتهى بك -أى الحكمـــة- باستعارة أليفة بينها وبين المطلع عرى وثقى صار فيها طلاب الدنيا النهمون " كلاب " وهذه الاستعارة قد مهد لها التشبيه فى المطلع " جيفة " والخيال يجمـــع بينها " " الجيفة والكلاب " جمعا لا يكاد ينفك ، وهذا هو المجاز المرشح فـــى أدق صورة وأبهاها ، وفيها – فـــوق ما تقـــدم – فن بديعى يسمى " مراعـــاة

النظير " وضابطه أن تجمع فى الكلام بين لفظين فأكثر إذا ذكر أحد النظـيرين أو النظراء لاح فى الشعور ذكر الآخر ، لأن النظيرين أو النظراء يربط بينهما الخيال فى دائرة واحدة ، فهى تتداعى فيه تداعى المعانى المتآلفة (١) .

وقارن المعنى المدلول عليه " مهارشة الكلاب " وهو مـا يحـدث مـن الكلاب من تحرش حول الجيفة بمنازعة طلاب الدنيا بعضهم بعضـا للفـوز بها ، والخصومات التى تجرى بينهم حولها ، تجد بين المعنيين ألفـة وعناقـا حتى أصبحا شيئا واحدا ، ذاك هذا وهذا ذاك ، فما أروع هذا الكـلام ، ومـا أخطر دور البلاغة فيه .

إن كل ما تقدم حكم وأمثال ، وقد يختلط الأمر بينهما فتُعدّ الحكم أمثالا ، وهذا كثيرا ما يقع ، والعذر فيه بيّن ، إذ لا فرق بينهما من حيـث الصياغـة والتركيب والخصائص البيانية ، وإنما الفرق بينهما فى أمور خارجية لا شأن لها بالتراكيب والبناء التركيبى ،والنظام اللغوى لكل منها والتشـبيه والمـورد والمضرب الذى هو عمدة المثل ليس فى الكلام ما يدل عليه ، وإنما هو تشبيه مضمر فى نفس الضارب للمثل ، فهو فعل من أفعال النفس يدرك بالملابسـات وقرائن الأحوال ، وليست له أداة فى اللفظ ، ولا هو من قبيـل التشـبيهات المصرحة التى تذكر فيها الحكم وكشفنا عن خصائصها البلاغية ، نذكر فيمـا يأتى طائفة من الأمثال وننهج فيها نفس النهج المتقدم .

تحليل صور من الأمثال

- إنك لا تجنى من الشوك العنب .(٢)

---

(١) هذا الضابط الذى ذكرناه ليس موجودا بلفظه فـى كتـب الأقدميـن ولا فـى بحـوث المحدثين ، ولكن ما ذكروه فى حده لا ينافى ما ذكرناه ، وهو أضبط فى المسألة .

(٢) جمهرة الأمثال ١/١٠٥ مجمع الأمثال ٢/١٢٠ المستقصى ١/٤١٦ .

- قبل الرماء تملأ الكنائن . ([1])
- رمتنى بدائها وانسلت . ([2])
- الصيف ضيعت اللبن .([3])
- قطعت جهيزة قول كل خطيب .([4])
- الحليم مطية الجهول . ([5])
- إن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى . ([6])

هذه كلها أمثال لا حكم اصطلاحية ، وإن كانت حِكَما من حيث صدقها وقوة تأثيرها وإيجازها ووفرة معانيها ، وإنما تمحضت للأمثال لأن لكل قول منها موردا ــ أى حالة أولى قيلت فيها ــ ومضربا ، أى حالة أو حالات أخرى ترد فيها وكل ذلك منصوص عليه فى مصادرها التى أشرنا إليها فى الهامش ، فليراجعها من شاء ، والذى نعرض له الآن إنما هى المضارب التى يحسن التمثيل بها ، والخصائص البلاغية والأصول الفنية التى حكيت هذه المأثورات ، على أننا سنخص المثل الأخير بفضل بيان لسبب سنذكره عند الحديث عنه بإذن الله .

([1]) المستقصى ١٨٦/٢ .

([2]) نفس المصدر ١٠٣/٢ .

([3]) مجمع الأمثال ١٠/٢ .

([4]) جمهرة الأمثال ٣٥١/١مجمع الأمثال ١٤٢/٢ المستقصى ٢/١ .

([5]) جمهرة الأمثال الجزء الأول .

([6]) مجمع الأمثال ٧/١ المستقصى ٤١٠/١ .

المثل الأول : (إنك لاتجنى من الشوك العنب) وهو لأكثم بين صيفى ويضرب لكل امرئ صنع شراً فجوزى بمثله ، وفى معناه ورد : كما تدين تدان الجزاء من جنس العمل . وقد نظم هذا المعنى شعراً ومنه :

إن تزرع الشر تحصد فى عواقبه ندامة ، ولحصد الزرع ابان

إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

هذا المثل قانون مطرد من قوانين الحياة ، وجماله فى صدقه ، وفى تشبيهه مطلق الشر بالشوك ، لأن كلاً منهما مؤذ ، ومطلق الخير بالعنب ، لأن كلاً منهما له حلاوة تستطيبها النفس وتستريح إليها ، وهو فى جملته إما استعارة تمثيلية بحسب تركيبه اللغوى شبهت فيها حالة من يرجو الإحسان من الإساءة بحالة من يبحث عن العنب فى كومة شوك .

أو كناية عن شدة الحمق عند من لا يعرف حقائق الأمور فهو كمن يبحث فى الماء عن جذوة نار على حد قول الشاعر :

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار

وقول الآخر :

إياك تجنى سكرا من حنظل فالشىء يرجع فى المذاق لأصله

والمثل الثانى : " **قبل الرماء تملأ الكنائن** " يضرب فى الحث على الاستعداد للأمر قبل الأخذ فيه ، فذاك أقوى الأسباب الموصلة للمطلوب . وهذه سنة مطردة من سنن الحياة فالله قد جعل لكل شئ سبباً ، وربط بين الأسباب ومسبباتها ربطاً حكيماً . ومن يطمع فى المسببات ، دون الأخذ فى الأسباب عظمت خيبة الرجاء عنده وفى ذلك يقول مثل آخر: (قبل الرمى

يراش السهم) ([1]) وهما بمعنى واحد وقد نظم هذا المعنى شـــعراً فـــى قـــول بعضهم :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقد أدرك العقلاء أن الأخذ فى الأسباب يدفع اللـــــوم إذا لـــم يتحقـــق المطلوب ومن مأثورهم فيه قول الشاعر :

وعلـــــــىَ أن أســـــــعى وليـــس علـــــىَ إدراك النجـــاح

وقول الآخر :

لا تلم عزمى إذا الســـيف نبـــا صح منى القصـــد والســـيف أبـــى

أما بناؤه البلاغى ، وفقهه البيانى فهو التكنية عن المبادرة إلى إعـــداد العدة للأمر قبل الشروع فيه ، وفيه من إيجاز الحذف بعد إيجاز القصر حـذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول (تملأ الكنائن) والأصل : يملأ الرامى الكنـــائن . وفى هذا الحذف من الفخامة ما فيه لأن المعول عليه فى هذا المجال هـــو أن تكون الكنائن مملوءة وصالحة للعمل ؛ بصرف النظر عمن ملأها ، الرامى أم غيره . ؟

أما المثل الثالث : (رمتْنى بدائها وانسلت) فمضربه كل حالة تتصـل جان فيها مما جناه ونسبه إلى غيره من الأبرياء ، وهذا ما أكثر وقوعه فـــى دنيانا ، ولو أن الجناة قصروا دفاعهم عن أنفسهم بنفى ما جنوه لهان الخطب ، ولكن إلصاقهم ما جنوه بغيرهم هو الداهية الدهياء.

وليس لمن أصيب بسهامهم عذر أبلغ ولا أقطع مـــن أن يـــردد هـــذا المثل : رمتنى بدائها وانسلت . وإنها كلمات ثلاث يعجز دهاة المحامين عـــن أن يأتوا بمثلها فى حلبة الدفاع ولو سودوا عشرات الصحائف .

([1]) أمثال ابن سلام (٢٣٣) .

وهذا المثل على قصره بديع النظم ، شديد الإيحاء غزيـــر المعنـــى ، كثيف الظلال .

ففيه استعارة " الرمى " للاتهام ، والاتهام أمر معنوى ، أمـــا الرمـــى فحسى لا يكون حقيقة إلا للأجسام كحَجَر ونحـــوه . واســتعارة المحســوس للمعقول فيها تجسيم للمعقول حتى لكأنه يحس ويرى والمرمى به داء فـــهو ــ إذن ــ رمى مهلك ، وزاد من قبح الرمى إضافة الرمى إلى ضمير الرامـــى " دائها " فلهذه الإضافة روعة لا يخفى أثرها على ذى فقه بمرامى الكلام ، ولـو قال : رمتنى بداء وانسلت لذهب من المثل شـــطر جمالـــه ، وتـــأمل ســـحر الاستعارة فى " انسلت " فإنك تحس بما لها من لطف ورشاقة ، فـــهى شـــعاع رقيق يومض أمام ناظريك ولا يلبث أن ينماع فكأنك لم تر شيئاً قط ، ثم قارنها بما لو قال : " وذهبت " تجد الفروق بين التعبيرين جد شاسعة .

والمثل الرابـــع : (**الصيف ضيعت اللبن**) يضرب فى شأن كل مـــن أضاع خيراً كان ينعم فى ظلاله ، ثم طلبه بعد فوات الأوان ، وهذه الكلمـــات الثلاث التى قالها شيخ لمن كانت زوجاً له منذ مئات السنين كـــان يمكـــن أن تذهب هباء لولا ما تحمله من معان راقت فرددتها الأفواه فى مناسباتها وعلقت بالشمس شهرة وذيوعاً .

وهو فى أصله التركيبى خبر لم يُرد منه فائدته ولا لازمها كما يـــراد من الأخبار فى أصل وضعها ، وإنما أريد منه التذكير بالقصور وخطل الرأى المقترن به التوبيخ وهو آلم فى النفس من النضح بالسهام ، إذ ليس آلم علـــى النفس من توبيخها على خير أضاعته فى لحظة طيش هى أشد ما تكون حاجـة إليه ساعة مواجهتها بالتوبيخ واللبن فى المثل من جوامع الكلم ، فلا يراد بـــه خصوص اللبن بل كل خير وفضل يقيم الأود ويصون ماء الوجه .

أما المثل الخامس : (**قطعت جهيزة قول كل خطيب**) فمهما قيل فـــى جهيزة هذه من وصفها بالخرق والحمق ، فهو الضوء الأحمر المؤذن بقطـــع كل كلام لأن جهيزة جاءت بفصل المقال ، ومورد هذا المثل أن حيا من أحياء العرب قتل رجلاً من حى آخر ، فاجتمع الخطبـــاء مـــن مريـــدى الإصـــلاح ليتوددوا لأولياء القتيل بأخذ الدية فدخلت عليهم أمَة يقـــال لـــها " جـــهيزة " وقالت : لقد ظفر بعض أولياء الدم بالقاتل فقتلوه وهنا تعادلت كفتـــا المـــيزان وسكت الخطباء فقيل " قطعت " جهيزة قول كل خطيب " فصـــار مثلاً يضرب لكل حالة انتهى فيها وصارت جهيزة رمزاً لكل حاسم أمر . ولست ادرى لماذا يصف الكاتبون جهيزة بالحمق فإن كان ما قالته حقاً فهى ليست بحمقـلاء ، وإن كان باطلاً وكذباً فهى لم تقطع أقوال الخطباء ، فإما أن يبقى المثل صحيحاً مع سلامة جهيزة من الحمق ، وإما أن يمحى المثل ويمحى معه ذكر جهيزة – فلا هى حمقاء ولا فطنة ؟!

وفى المثل استعارة القطع للإبطال ، والإبطال أمر معنوى والقطـــع لا يكون إلا للأجسام المحسوسة ، وفى هذا تنزيل للمعقـــول منزلـــة المحســـوس لإبرازه فى صورته مبالغة فى بيان أثر قول جهيزة فى حسم الأمر والفصـــل فيه فصلاً قوياً .

والمثال السادس : " **الحليم مطية الجهول** " ، أى العاقل الحليم يحتمـــل نزق الأحمق اللئيم كما تحمل المطية ممتطيها ، ويضرب فى كل حالة اتســـع فيها صدر الكريم لتفاهة الحمقى ، وصبر على أذاهم ولم يقم لهم وزناً .

والمثل على إيجازه فيه صورتان بلاغيتان فهو تشبيه بليغ ينم عن خيال مُوحٍ ؛ وفيه طباق بين الحليم والجهول ، وفى العدول عن " الجـــاهل " إلـــى " الجهول " وهو صيغة مبالغة فيه ، حسن رعاية لفضل الحليم وقوة احتمالـه ،

فهو مادام يحتمل كثير الجهل فإن احتماله لقليله من المسلمات التـــى لا تقبـــل جدلاً .

المثل السابع :

وعَدْنا أننا سنفصل هذا المثل تفصيلاً نستقصى فيـــه جوانـــب القـــول والسبب أنه جزء من حديث ، فله شرف النبوة وكرامـــة الوحـــى وعصمـــة الرسالة .

وللحديث سبب ورود يراجع فى مظانه ، وقد قاله عليه السلام لرجـــل يشتد على نفسه فى العبادة ، فنصحه عليه السلام بالاعتدال فيها وكـــان ممـــا قال " إن المُنبَتّ لا أرضا قطع ، ولا ظهراً أبقى " فصار يضرب به المثـــل ، وهو أبلغ الأمثال فى بابه ، يضرب لمن يستعجل فى عمل اســـتعجالاً يوهـــن عزمه ، ويبدد طاقته ، ولا يتحقق معه المطلوب لعجزه عن مواصلة العمل .

الفروق بين الحكم والأمثال :

تشيع فى هذا المقطع من الحديث الشريف كثير من خصائص النظـــم وإحكام البناء والقيم البلاغية مما لا نظير له من كلام الناس وتكسوه حالة من جلال النبوة كلما لمستها ازددت بها إعجاباً وغمرتك أنساً .

فهو فى جملته " استعارة تمثيلية " شبهت فيها حالة من يغلو فى عمـــل ما ويبدد طاقته فى غير روية حتى يكل عـــن العمـــل ويفقـــد قدرتـــه عليـــه دون تحقيق المقصد ، بحالة من يزجر مطية ويحثها على السير بلا هـــوادة ، فتتعثر وتعطب دون الهدف بجامع ما يترتب على كل منها من إضاعة ما فـــى اليد بلا طائل مفيد ثم صار يُضرب فى كل حالة مشابهة ، وهو من جوامـــع كلمه ﷺ .

وهو فى تفصيله مفعم بدقائق النظم وأسرار البيان :

- وأول ما يطالعك التوكيد الحاصل بـــ " إنّ " المؤذن بحصـــول مضمـــون الجملة عند حصول أسبابه ، فالعجلة غير المدروسة لا يعقبها إلاّ الخســارة والندم ، وقليل من ينجو منها ، وحال المخاطب – هنا – لما كان يغلو فى أمر العبادة صار كأنه منكر لمضار الغلو ، فَنُزّل منزلته وأكد له الخطــاب بمؤكدين الأداة ، واسمية الجملة ولم يزد عليهما ، لأن الرجل لـــم يكــن منكراً حقيقة ، ولكنه مجتهد فى طلب المثوبة فنصح بما يليق بحاله .

- والمُنْبَت فى اللغة المنقطع عن الركب مطلقاً (١) ، وكان حــق الكــلام أن يقال : إن " **المتسرع** " ولكنه عدل عنه إلى " **المنبت** " إشعاراً بما يــؤول إليه حاله " المتسرع " وهو الانبتات ، فهو من إقامة المسبب مقام السبب ، فهو مجاز مرسل علاقته المسببية أو السببية (٢) .

وفى معاجلة المتسرع بمواجهة بما يؤول إليه حالة " الانبتات " وفـــاء بحق المعنى لأن المقصود هو التحذير من التسرع .

- ثم انظر إلى تقديم المعمولين : " أرضاً ، وظهراً " ، علـــى عامليــهما : " قطع وأبقى " وكان حق الكلام أن يكون : " لا قطع أرضـــاً ولا أبقــى ظهراً " ولكنهما قدما فوليا حرف النفى . وفى هذا التقديم تعجيل بتصـــور الخسار الذى يقع فيه المتعجل ، لأنه يهمه بالدرجة الأولى أن يحقق لنفســه النفع من عمله أياً كان سيراً أو غير سير وأن يحتفظ بطاقته التى يستثمرها فى ممارسة العمل .

---

(١) انظر أمثال الميدانى (جـــ١ ص ١٠) .

(٢) يجوز انتزاع العلاقة من المذكور وهو المسبب فتكـــون العلاقـــة المســببية ، ويجــوز انتزاعها من المعدول عنه وهو السبب فتكون العلاقة السببية . وهذا يجرى فى المجــاز العقلى كما يجرى فى المجاز المرسل .

وسر هذا التعجيل المبادرة بالتحذير من الغلو المفضى إلـــى الخســـارة والتندم .

- وقد حرص عليه السلام أن يجمع بين ضياع الطاقة وبقاء العـــبء الـــذى يتطلب استمرار العمل لإنهائه .

وهذا أبلغ فى تصوير مضار العجلة ، لأنه لو اقتصر علـــى ضيـــاع الطاقة مع بلوغ القصد ، أو على بقاء العبء مع سلامة الطاقـــة لكـــان ذلـــك أيسر على نفس المتعجل ، ولم يف بالمراد من التنفير من المغالاة والعجلـــة ، فكانت نهاية البلاغة فى الجمع بينهما .

- وبهذا تدرك جمال توسط حرف العطف بين الجملتين . لا أرضاً قطع ولا ظهرا أبقى لأن الجملة الثانية قسيمة الأولى فى الحكـــم والمعنـــى فحـــق وصلهما بالواو لوجود المناسبة . (١)

- وأوثر " الواو " من بين حرف العطف ، لأن المقام مقامه هـــو لا مقـــام غيره ، ولو عطف بالفاء لفسد المعنى ، لأنها تفيد الترتيب مع التعقيـــب ، ولا معنى للترتيب هنا لأن – المعطوف عليه " لا أرضا قطـــع " متـــأخر وجوداً على المعطوف " ولا ظهرا أبقى " وقطع الظهر أسبق وجوداً مـــن نفى قطع الأرض ، فلو لم يعطب الظهر لما بقى العبء والعطف يقتضـــى ترتيب السابق على اللاحق ، وهذا فاسد كما علمت .

وكما بطل العطف بالفاء يبطل ببقية حروف العطف مثل ثم ، ولكـــن ، وبقى المقام للواو وحدها .

---

(١) يطلق البلاغيون على هذه المناسبة .. الجهة الجامعة بين الجملتين ، والجملة الثانيـــة – هنا – شريكة الأولى فى الإعراب والمعنى لأنها جزء الخبر كما ترى .

يبطل العطف بـــ " ثم " لأن فيها ما فى العطـــف بالفـــاء مـــن فســـاد المعنى . لاقتضائها الترتيب ، والأمر على العكس كما تقدم ، ثـــم لاقتضائـــها " التراخى " ولا تراخى هنا ، كذلك ، لأن بقاء العبء يحـــدث عقـــب قطـــع الظهير وتبديد الطاقة مباشرة .

وكذلك يبطل العطف هنا بـــ " لكن " لإفادتها الاستدراك ، وهو نفـــى ما يتوهم إثباته أو إثبات ما يتوهم نفيه ، ولا معنى له هنا بشقيه فلا يصح أن يقال : لكن لا ظهرا أبقى لأن نفى قطع الأرض يقتضى هلاك الظهر ، وزوال الطاقة الممكنة منه . فتقديم نفى القطع على إهلاك الظهر رافع لاحتمال توهـــم بقائه . ولذا تمنع " لكن " هنا ، كما امتنعت أختاه الفاء وثم ، وهكذا البواقى .

- وإنما كان المقام للواو وحدها ، لأنها تعطف السابق على اللاحق واللاحـق على السابق وتعطف المتصاحبين . وهى فى الحديث لعطف السابق علـــى اللاحق ، لأن بقاء الأرض بلا قطع حدث عقيب هلاك الظهر حدوثاً يكـــاد يكون مصاحباً له لشدة قربه منه .

- وهذا – يعنى تقديم ما حقه التأخير – يُفضى بنا إلى سؤال مؤداه إذا كـــان – إهلاك الظهر ، أو تبديد الطاقة سابقاً فى الحدوث على بقاء الأرض بلا قطع ، فلم أُخِّر فى النظم ، وما سره البلاغى إذن؟

والجواب ليس ببعيد – والله أعلم – أن يكـــون سر التقديـــم هنـــا لأن صاحب الطاقة المبذولة فى هدف ما ، يقصد من بذل طاقته تحقيق مـــا أراده منها قصد أوليا ، ويكون ذلك مطلوب نفسه ، لأن الطاقة الموجودة محققـــة ، والمطلوب ثمرتها فعوجل فى الحديث بفوات المطلوب ، ليكون ذلك أعون لـــه على التنفير من العجلة .

- وبقى من دقائق النظم فى الحديث تنكير كلمتى " أرضا وظـــهرا " ولـــهذا التنكير سر بلاغى ملحوظ ، ومعلوم أن مـــن معـــانى التنكـــير التعميـــم والشمول ، وهذا إذا وقع فى سياق النفى ازداد شمولاً ومـــؤدى التنكـــير هنا أن المتسرع بدد كل طاقته ولم يحرز أى نفع .

ولا ريب أن هذا المعنى أوثق صلة بشدة التحذير من العجلة التى هى مرمى هذا المثل الرائع حقاً .

إنه مثل فريد فى بابه ، توفرت فيه كل خصائص النظم المحكم البليغ ، والمثل السائر ، من حسن تشبيه وإيجاز وصدق وإصابة . وما قيل فى معنـــاه لم يبلغ مبلغه من الروعة والجمال وإن كان فى نفسه بليغاً .

وممن قال فى معناه القطامى الشاعر :

قد يدرك المتـــأنى بعـــض حاجتـــه وقد يكون من المســـتعجل الزلـــل (١)

فهذا كلام أطنب فى مبناه من " إن المنبت لا أرضاً قطـــع ولا ظـــهرا أبقى " ولم يبلغ مبلغه من الصدق والإصابة فإن من حق الناقد أن يأخذ علـــى القطامى قوله " بعض حاجته " لأن فى التبعيض تزهيداً فى الروية والأنـــاة ، ولو أنه قال " جل حاجته " لكان أقرب إلى الهدف.

وقد جعل القطامى عاقبة العجلة " مجرد الزلل " وهو وإن وقع علـــى وجه التكثير المستفاد من " قد " فإنه لا يتم به كمال التحذير من العجلة لأنه فى نفسه درجات أما الحديث فقد نص نصاً على أن العجلة تبدد الطاقة ولا تحقـــق القصد . فهو أبلغ فى التحذير .

---

(١) الأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام (٢٣٣) .

ولا يقال إن القطامى جمع فى حديثه بين التأنى والعجلـــة معـاً أمـا الحديث فخاص بالعجلة فلا يعد أوجز منه مبنى ولا أكمل منـــه معنـــى فـإن الحديث وإن كان منطوقه فى التحذير من العجلة ، فإن مفهومه الترغيب فـــى الحلم والأناة .

وقد خلا بيت القطامى من روعة التشبيه والتمثيل الذى ورد عليه المثل النبوى .

وبيت القطامى على قصوره عن الحديث أبلغ من قول النابغة الذبيانى :

الرفق يمن ، والأنـــاة سـلامة فاستأن حلمك فى أمـورك تسـلم (١)

فبيت القطامى خلا من التكرار ، وبيت النابغة كرر فيه المعنى ثـــلاث مرات .

فقوله " الأناة سلامة " هو نفس قوله : " الرفق يمن " ثم عاد فكـــرر : فاستأن حلمك .. " وهو نفس قوله : والأناة سلامة ، إلا أنه أوجز ..

والمعنى الذى أراده النابغة من البيت كله كان يكفى فى تأديتـــه فقـرة واحدة من فقراته الثلاث .

الرفق يمن – الأناة سلامة – استأن حلمك تسلم .

والفقرتان الأوليان أبلغ من الثالثة ، لتأديتـــها المعنـــى مـع فضيلـة الإيجاز .

ومما قيل فى معنى المثل النبوى ما يردده الناس كثيراً : فـــى التـأنى السلامة وفى العجلة الندامة .

---

(١) العمدة ١ /٢٨٥ .

فهو نظير قول القطامى فى الجمع لفظاً بين الترغيب فى الأناة والترهيب من العجلة إلا أنه – فيما أرى – أبلغ منه ، لسلامته مما أخذ على القطامى مع اختصاصه بتوازن فقرتيه – والسجع غير المتكلف .

وأجود من قول النابغة ، لأنه أعم منه معنى ، ولسلامته من التكرار الذى وقع فيه النابغة .

وجميعها دون المثل النبوى الحكيم ، لما فيه من روعة التأثير وإحكام البناء ودقائق النظم ، وخلوه من الفضول والحشو .

الفروق بين الحكم والأمثال

ويحسن بنا – الآن – أن نثبت فى إيجاز أهم الفروق بين الحكم والأمثال :

١- الحكمة قول صائب وليدة التجارب تساق فى درج الكلام لتقوية المعنى وتقريره .

والمثل : قول صائب مشهور له مورد ومضرب ويراد منه تشبيه مضربه بمورده .

٢- الحكمة قد تكون مشهورة كالمثل وشهرتها لا تدخلها فى حكم الأمثال لأنها لا يراد منها التشبيه قط ، ولا هى صالحة له .

أما المثل : فعدم شهرته لا يخرجه عن حكم الأمثال ما دام له مورد ومضرب يصح تشبيه ثانيهما بأولهما .

واعتبار هذه الشروط فى الأمثال حمل بعض أهل العلم على القول بأن القرآن الحكيم لا أمثال فيه ، بحجة أن القرآن لم يردد أمثالاً قيلت قبله يشبه فيها مضربها بموردها حتى تتوافر فيه شروط المثل .

والواقع أن هذا ملحظ وجيه ، وهو مع وجاهته لا يمنـــع مـــن القـــول بوجود الأمثال فى القرآن ، على أن يكون ذكر المثل فى القرآن هو " المورد " لا المضرب ، ويكون ذكره وترديده بعد وروده فى القرآن هو " المضرب " .

فمثلاً قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وهذه الآيات وأمثالها صالحة للترديد فى مناسبات كثيرة فيكون ترديدها هو مضربها ، وورودها فى الذكر الحكيم أولاً هو المورد ولا ضير فى ذلـــك أبداً وبهذا تخرج من الحرج الذى أبداه بعض أهل العلم كما تقدم .

المثل والتمثيل

مثلما فرقنا بين المثل والحكمة يحسن أن نفرق بيـــن المثـــل بمعنـــاه المتقدم ، وبين التمثيل .

* وقد سبق القول أن المثل ما توفر له حظ من الشهرة والوجازة وأريد منـــه تشبيه مضربه بمورده ، وخف جريانه على اللسان .

وما كان هذا شأنه ، كان مثلاً ، لتوافر خصائص الأمثال فيه .

أما التمثيل فشىء آخر غير المثل ، وإن صح أن يطلق علـــى المثـــل وعلى التمثيل مثل .

وعند المقارنة الدقيقة بينهما فإنهما يفترقان ، لأن التمثيل لا يشترط فيه إلا التشبيه أما الوجازة والشهرة والمورد والمضرب فلا شأن لـــها بـــه ، وإن وجد بعضها فيه – لأن الفرق كبير بين وجود الشىء غير مشـــروط ، وبيـــن وجوده مشروطاً .

والوظيفة البيانية فى المثل هى : مجرد تنظير حالتين شابهت إحداهما الأخرى – تشبيه المضرب بالمورد – ولا يراد من المثل أكثر من هذا .

أما التمثيل ، فله – بعد إفادة التشبيه والتنظير – أسرار بيانية تختلف من صورة إلى صورة . وتتجلى تلك الأسرار فى التمثيل القرآنى ، والتمثيل النبوى فى أبهى صورة وأروع بيان :

وللإمام عبد القاهر الجرجانى كلام قيم فى تحليل صور التمثيل ومكنون معانيها وشدة تأثيرها فى النفوس (١) ، وقد حذا حذوه من جاء بعده من علماء البيان ومنهم الخطيب القزوينى . (٢)

- والمثل ليس فى حاجة إلى أداة تشبيه تعقد شبها بينه وبين ما شبه به بل هو يساق بلا أداة ، فلا يقال لمن أضاع فرصة خير كانت سانحة له ثم طلبها بعد الفوات : أنت كمن ضيعت فى الصيف اللبن ، لأن المثل يحكى على هيئته التى ولد عليها أول مرة . والتشبيه المجمع عليه فى المثل تشبيه مضمر فى النفس وليس مصرحاً به فهو استعارة ، وإنما أطلق عليه تشبيه لأن الاستعارة تعتمد التشبيه وتتبنى عليه .
- أما التمثيل فالأصل فيه النص على أداة التشبيه ، لأنه تشبيه حقيقى فإذا لم تذكر الأداة وجب تقديرها ، ويكون حينئذ تشبيها مؤكدا لدعوى الاتحاد بين الطرفين .

وما ورد منه فى البيان القرآنى والبيان النبوى قد التزم فيه ذكر الأداة دائماً ، سواء كان مدخولها لفظ " مثل " أو غيره ومن الأول قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

---

(١) انظر أسرار البلاغة (٩٢) وما بعدها .

(٢) انظر الإيضاح (١٢١) وما بعدها .

وقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ [الحشر : ١٥]

وقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ [الحديد : ٢٠] .

ومن الثانى قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [الكهف : ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وللقرآن الحكيم طرائق أخرى فى تراكيب التمثيل جديرة بأن تتبع ويستقصى القول فيها ومنها :-

- أن يذكر المثل ابتداء دون أن يصدر بما يفهم أنه تمثيل ثم يعقب عليه فيصرح بأنه تمثيل . ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٣] .

ومن أمثلته صدر آية سورة الفتح : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ [الفتح: ٩].

- ومنها أن يصدر الكلام المراد التمثيل به لفظ مثل ، ثم لا يذكر بعده مشبهاً به بل يأخذ فى ذكر أوصاف تقوم مقامه . ومن أمثلة هذه الطريقة : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ [محمد : ١٥] .

وهذا التصرف فى التعبير حمل الكثيرين على أن يقولوا إن المراد من كلمة " مثل " فى هذه النصوص كلمة " صفة " أى ذلك وصفهم فى التوارة ، ووصفهم فى الإنجيل وصفة الجنة التى وعد المتقون .

وممن ذهب هذا المذهب : الجوهرى وابن سيدة ، وقتادة وابن قتيبة وأبو السعود صاحب التفسير المعروف ([1]) وحكى الزبيدى أن النُجاة يخرجون " مثل الجنة " على أنه مبتدأ خبره محذوف ، أى : فيما يتلى عليكم مثل الجنة ([2]) .

والذى ذكره الزبيدى هو قول سيبويه وأضاف إليه صاحب إرشاد العقل السليم رأيين آخرين ، أحدهما للنضر بن شميل الذى قدر الكلام هكذا : " مثل الجنة ما تسمعون " ومال صاحب الإرشاد إلى ترجيحه ([3]) .

والذى حملهم على هذه التخريجات فيما أرى هو خلو الكلام من مشبه به مع التصريح بلفظ المثل .

طريقة أخرى للتمثيل

* وللتمثيل طريقة أخرى فى البيان القرآنى ، لم يذكر فيها لفظ المثل وإنما يكتفى بذكر أداة التشبيه ، ومن أمثلة هذه الطريقة قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا** ﴾[النحل:٩١، ٩٢]

" مثل حال من ينقض العهود والمواثيق بعد توكيدها بالأيمان بحال من غزلت غزلاً وقَوتْه وشدتْه ، ثم عادتْ فنقضتْ غزلها ونكثته ([4]) " .

فهذا تمثيل أو تشبيه تمثيلى لم يذكر فيه لفظ المثل ، بل وفَّتْ أداة التشبيه فيه بالمراد وأمثلته فى القرآن الحكيم كثيرة .

والكلام فى هذا يطول ، وما أردنا إلا التمثيل للاستعانة به على الكشف والإيضاح عن ما بين المثل والتمثيل من فروق .

([1]) انظر إرشاد العقل السليم (٥ / ٥٨٨) وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (٤١٣) .

([2]) انظر تاج العروس ٨ /١١٠ .

([3]) انظر تفسيره ٥ / ٥٨٩ .

([4]) البحر المحيط ٥ / ٥٣٠ .

وفيما يلى أهم الفروق :

- المثل قول موجز مشهور له مورد ومضرب يـــردد فيـــه ، والتمثيـــل لا يشترط فيه الإيجاز ولا الشهرة ، وليس له مضرب يذكر فيه وإن كان لـــه مورد .

- التشبيه فى المثل يصدق على حالات كثيرة مشابهة يحسن ترديده فيـــها : أما التمثيل فالتشبيه فيه مقصور على الحالة التى ورد فيه أو الشأن فيه أن يكون كذلك .

- المثل عند ترديده يصبح استعارة تمثيلية أو مجازاً مركباً دائماً يستعار فيـه المورد للمضرب .

أما التمثيل فليس بلازم فيه أن يكون مجازاً ، بل يجوز فيه ذلك – كما سيأتى – والكثير من صوره لا تخرج عن التشبيه الحقيقى (تشبيه تمثيلـــى) استعملت فيه الألفاظ فى حقائقها اللغوية .

- أداة التشبيه فى المثل لا وجه لها إلا إذا كانت الأداة هى أصل المثل([1]).

أما فى التمثيل فأداة التشبيه أصل فيه ، فإذا لم تذكر لفظـــاً قُـــدرتْ ، وتجرى عليه أحكام التشبيه المحذوف الأداة حينئذ ، من إفادة التوكيد والمبالغـة إذا قُرن بحذف الوجه ، وهو فى التمثيل كثير غالب .

- كثيراً ما يقترن " التمثيل " فى البيان القرآنى بكلمة : الضرب " على وجـه الخبر " ضرب ([2]) .

([1]) كثير من الأمثال مصدرة بأداة التشبيه عند موردها ، مثل " كمبتغى الصيد فـــى عرينـــة الأسد " ويضرب لمن أورده الطمع المهالك ، وهو نصف بيت للطرماح (المســـتقصى جـــ٢ص٢٣٢) فهذا وأمثاله عند ترديده يحكى على حالته لأن التركيب كله مشبه به.

([2]) كقوله تعالى : ﴿ وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ [النحل : ٧٦] .

أو الأمر والإنشاء " اضرب " (١) وقد يأتى الخبر فى صورة المضارع كذلك يضرب (٢) .

ويأتى الإنشاء فى صورة النهى " فلا تضربوا " (٣) ومعنى الضـــرب هنا " الذكر " .

أما فى المثل فلا يصرح بالضرب ، بل هو أمر مضمر فـــى النفـس ومعنى الضرب فى المثل هو " الاستعمال " أى استعمال التركيب الذى ذكـــر أولاً فى مورده مستعاراً لمضربه .

فقوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. ﴾ معناه اذكـــر لـــهم مثلها ، وهو بقية الآية الكريمة ﴿ كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ هذا فى التمثيل .

أما المثل فإن من يقول لآخر : أن ترد الماء بماء أكيس " يحثه علـــى حفظ ما فى يده فلا يبدده حتى يجد غيره فإنه قد ضرب له مثلاً باستعماله هـذا التركيب . وبدهى أنه لم يقرنه به لفظاً ، وإنما الاستعمال نفسه هو الضـــرب ، وهذا من أخفى الفروق بين المثال والتمثيل .

معنى " الضرب " للأمثال

حقيقة الضرب فى اللغة هى إمساس جسم بجسم بعنف (٤) هـــذا هـــو الأصل فيه ، ويخرج إلى معان كثيرة منها :

الجعل والاعتمال – السير فى الأرض – والوضع والصنع والنصـــب والمنع والإلزام . يقال : ضرب فى الأرض إذا سار فيها . وضربت له مثـــلاً

---

(١) كقوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف : ٣٢]

(٢) آية (٣) من سورة القتال .

(٣) آية (٧٤) من سورة النحل .

(٤) البحر المحيط ١ / ١١٩ والجسم الأول هو المضروب والثانى المضروب به .

وضعته له وصنعته وجعلته واعتملته ، وضربت الخيمة نصبتـــها وأقمتـــها ، وضربت عليه كذا إذا ألزمته به ، وضربت على يديـــه أى منعتـــه وأفســـدت قصده . ([1])

ويتعدى بنفسه مثل : ضربت مثلاً ، وبـــالحرف مثـــل : ضربـــت عليه ، وضربت له – وضربت فى الأرض .

فما معنى ضرب الأمثال والضرب للتمثيل إذن ؟

كل تلك المعانى صالحة لأن يفسر بها الضرب فى التمثيل والأمثـــال ، بيد أن أبا هلال اختار أن يكون بمعنى السير فقال :–

" وضرب المثل جعله يسير فى البلاد ، من قولك ضرب فـــى الأرض إذا سار فيها ([2]) " .

والزمخشرى يفهم من كلامه أن معنى ضرب الأمثال هـــو اشـــتهارها فقد قال فى مقدمة كتابه : " ولأمر ما ســـبقت أراعيـــل الريـــاح ، وتركتـــها كالراسفة فى القيود بتدارك سيرها فى البلاد مصعدة ومصوبـــة ، واختراقـــها الآفاق مشرقة ومغربة ([3]) " .

" وكذلك ذهب الشريف الرضى فشـــرح ضـــرب الأمثـــال بنصبـــها وذيوعها ومعان أخرى قريبة منها ([4]) " .

ومعلوم أن الأصل فى ضرب المثل " ذكره " وعدل عـــن الأصـــل إلى " الضرب " .

([1]) انظر تاج العروس وصحاح الجوهرى والمصباح المنير مادة (ضرب) .

([2]) جمهرة الأمثال ١ / ٧ .

([3]) المستقصى ١ / ٢٠ .

([4]) تلخيص البيان (١٠٧) .

وقد مضى تفسيرهم لمعناه ، ويتلخص من نقولنا عنهم أن ضرب المثل مستعار لذكره ولا يستعار شئ لشئ إلا لعلاقة تجمع بينهما ، هى المسماة بـــ " الجامع " فى الاستعارة وبـــ " الوجه " فى التشبيه . ولم أر من نـــص علـــى " الجامع " هنا صراحة ، ولكن يحضرنى فيه بيان لأستاذنا الشيخ عبد الغنـــى عوض الراجحى كان قد أبداه أيام الطلب ، يقول : " إن المراد مـــن ضـــرب المثل ذكره مؤثراً فى النفوس تأثيراً قوياً اقناعاً وإمتاعاً كما يؤثر الضرب فـــى المضروب " .

وأرانى ميالاً لهذا التوجيه ، لأنه يجعل " الجامع " بين المســـتعار لـــه (الذكر) وبين المستعار منه (الضرب) قوة الإحساس والتأثير فى كل منهما .

والمثل إذا أُحسن إيراده فى الكلام كان له وقع عظيـــم فـــى النفـــوس وإحساس قوى لا يكون لعادى الكلام ، لأنه كما سبق يجمع بين الإيجاز وحسن التشبيه ، والإصابة والصدق ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .

التحليل البلاغى للتمثيل والأمثال :

المثل المضروب المشبه به مضربه بمورده لا ينفك بحال عن كونـــه مجازاً مركباً أو استعارة تمثيلية شبهت فيها هيئة تركيبية بهيئة تركيبية أخـرى (المضرب بالمورد) فلكل مثل حالة أولى ورد فيها وحالات أخـــرى يـــردد فيها ، فمورد المثل واحد : أما المضرب فمتعدد . ومورد المثل شبيه بوضـــع المفـــرد فـــى أن كلا منهما حقيقتان لغويتان .([1])

وترديد المثل فى مضاربه شبيه بالمجاز فى المفـــرد ، فـــى أن كـــلاً منهما قد نقل من الأصل اللغوى له إلى الاستعمال المجازى الطـــارئ عليـــه

([1]) شراح التلخيص يدعون " التركيب عموماً " بالوضع النوعى . وهو عندهم قسيم الوضـــع الافرادى شروح التلخيص ٤/١٤٦.

والمسوغ للنقل هو علاقة " المشابهة " بين المنقول والمنقـــول إليـــه أو هـــو " الجامع " كما مر .

قال الخطيب القزوينى : " وأما المجاز المركب فهو اللفـــظ المركـــب المستعمل فى ما شبه بمعناه الأصلى ومجيؤه على حد الاستعارة كان بســـبب حذف المشبه من الكلام واطراح أداة التشبيه لأن الأصل فيه أن يقـــال : أراك فى ترددك كمن يقدم رِجْلاً ، ويؤخر أخرى . ([1])

والمعنى : تقدم رجلاً تارة وتؤخر أخرى . فالرِجْل المتصـــرف فيـــها واحدة لا رِجْلان ، وبعض الناس يحسب المعنى : تقدم رجلاً وتؤخر رجـــلاً أخرى . والتركيب من حيث الظاهر يحتمل هذا التخريج لحذف مفعول "تؤخر" فصلح لتقدير مفعول مغاير لمفعول " تُقَدم " وهذا غير صحيـــح ، لأن هيئـــة المتردد أن يقدم الرِجْل مرة ثم يعود فيؤخرها هى مرة أخرى .

أما تأخير رجل أخرى غير المقدمة فلا وجود له فى حالة المتردد قطعاً وكذلك فإن الطباع لم تجر به .

ولا حجة لمن يستدل على اختلاف الرِجْل المقدمة عن الرجل المؤخـرة بقوله : " فاعتمد على أيهما شئت " فثنى المضاف إليه " أى " وهو " همـــا " وجعل الضمير عائداً على " الرِجْلين " .

لا حجة فى هذا لأن الضمير عائد على التقديـــم والتـــأخير ؛ لا علـــى رجلين .

وظاهر كلام الإمامين (عبد القاهر والخطيب) أنهما متفقان علـــى أن فى العبارة مجازاً مركباً (استعارة تمثيلية) وأن المعنى المـــراد منـــها هـــو التردد . والذى حملهما على هذا هو علاقة المشابهة بين الحالتين وما أجمـــع

([1]) انظر الدلائل (٥٤) .

عليه الشيخان تشبيه التمثيل ، للمبالغة فى التشبيه ، أى تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى . ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها ، مبالغة فى التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه " (١) .

ثم مثّل الخطيب لهذا بقول الوليد بن يزيد إلى مروان بن محمد حين تباطأ فى عقد البيعة له :

" فإنى أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت " (٢) .

وفسره فقال " شبه صورة تردده فى المبالغة بصورة تردد من قام ليذهب فى أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى (٣) " .

فالصورة المشبهة صورة نفسية معنوية هى التردد فى عقد البيعة بين الإقدام عليها والإحجام عنها ، والصورة المشبهة بها صورة يغلب عليها الحس ، وهى تقديم الرِجل تارة وتأخيرها تارة أخرى .

وقد ردد الإمام عبد القاهر من قبل هذه العبارة ، مصدراً لها بقوله : " وأما التمثيل الذى يكون مجازاً لمجيئك به على حد الاستعارة فمثاله قولك للرجل يتردد فى الشىء بين فعله وتركه : أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى".(٤)

ليس بلازم فى تحليل التركيب بلاغياً ، بل يجوز فيه حمل الكلام على الكناية عن الصفة ، بل إن القول بأنه من باب الكناية أظهر مما أجمعا

---

(١) الإيضاح (٤٣٨) شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجى .

(٢) الإيضاح ٤٣٨.

(٣) السابق .

(٤) دلائل الإعجاز (٥٤) .

عليه . لأن الاستعارة مجاز ، والمجاز باتفاقهم لابد فيه من قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى ، ولا قرينة هنا ، لأن المعنى المراد ـ وهو التردد ـ لا يمتنع فيه إرادة المعنى الأصلى ، وهو تقديم الرجل ثم تأخيرها حقيقة .

وربما كان الحامل للشيخين أن قائل تلك العبارة لم ير من بعث بها إليه يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، وإنما علم بترده عن البيعة فالرؤية علمية لا بصرية بدليل أنه أرسل إليه كتاباً ، ولم يكلمه مشافهة وإذا صح هذا التوجيه – وأراه صحيحاً ـ فإنه مفيد فى حالة المورد فى حمل الكلام على المجاز ويكون عدم الرؤية البصرية هى القرينة المانعة ، من إرادة المعنى الأصلى .

وهذا التوجيه أولى مما ذهب إليه شراح التلخيص من أنه مجاز متفرع عن الكناية (١) ؟!

أما فى حالات المضرب فإن المعول عليه ضعيف ، فحالات المضرب غير مضبوطة ، فإذا قال أحد لآخر ، وقد رآه متردداً بين الإقدام والإحجام " أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى " ، فكيف يحمل هذا الكلام على المجاز قولاً واحداً ولا قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى ؟!

إن قولهم : " فلان طويل النجاد " ؛ " وبعيدة مهوى القرط " كنايتان عن الطول بلا خلاف ، سواء كان للموصوف نجاد وقرط ، أو لم يكن على اعتبار أنه لو كان له نجاد لكان طويلاً ولو كان " لها " قرط لكان مهواه بعيداً فالكناية لا يلزم فيها وجود المعنى الأصلى ، وكذلك لا يمتنع إن وجد .

وأياً كان القول المذكور : أراك تقدم " مجازاً تمثيلياً أو كناية فإن للبلاغة فيه لحمته وسداه ، هذا من حيث صياغة العبارة ومن حيث بناؤها .

---

(١) انظر شروح التلخيص ٤/١٤٦ وما بعدها .

أما من حيث ضرب المثل بها فهى استعارة تمثيلية بلا نزاع شبه فيـــها المضرب بالمورد ، لأن المستعار هو التركيب نفسه المنزل منزلة المفرد فـــى المجاز الإفرادى ، وكون المثل عند ترديده استعارة تمثيلية غير منظور فيـــــه إلى هيئته فى حالة المورد ، أيا كان فيها حقيقة أو مجازاً .

فترديدنا لقول الشاعر :

..... **كالمستجيرِ من الرمضـــــاء بالنـــار**

يصبح عند ضرب المثل بـــه مجازاً تركيبياً مع أنه فى الأصل حقيقـــة لغوية ، لأنه تشبيه حقيقى صريح .

ومثله قول لآخر :

..... **كمبتغى الصيد فى عرينة الأســـــد ؟**

وقولهم : إن الحديد بالحديد يفلح ([1]) " كلام جرى مجـــــرى الحقـــائق اللغوية لكنه عند التمثيل به يصبح مجازاً مركباً " .

وقوله : من نجل الناس نجلوه ([2]) هو فى أصله مجاز معناه .

من تكلم فى الناس بالسوء تكلموا فيه بمثله ، والنجل من معانيه الحـــز والقطع بالمنجل وهو " آلة الحصاد " ، وحين يضرب به المثل يصير اســتعارة تمثيلية قطعاً وهو من صور مجاز المجاز .

وصفوة القول : إن المثل حين يشبه مضربه بمورده فهو ــ دائمـــــاً ــ مجاز استعارى مركب (استعارة تمثيلية) ما دامت العلاقة فى النقـــــل هـــى " المشابهة " شريطة أن لا يتصرف فيه ، بل يترك على هيئته الوارد عليها بلا

([1]) الأمثال لابن سلام .

([2]) الأمثال لابن سلام .

أدنى تغيير ، فإن حصل فيه تصرف فلا يكون مجازاً ، لأنْ شرط الاســـتعارة أن يحافظ فيها على " المستعار " كما يعار الثوب وغيره من المنقولات التـــى يحصل الإذن بالتمتع بمنافعها دون التصرف فى ذواتها وأعيانها والتغيير فـــى المثل يخل بشرط المجاز فيه ، فيصبح الكلام بعد التغيير شيئاً آخر غير صورة المثل .

ويستوى فى كونه عند الضرب مجازاً : الحقيقـــة والتشـــبيه والكنايـــة والمجاز ، إن كان الأصل وارداً على شئ منها ، وهـــذا أمـــر لا أرى فيـــه خلافاً.

هل التمثيلية تبعية ؟

قسم البلاغيون الاستعارة قسمين كبيرين :

أحدهما : الاستعار التصريحية وضابطها أن يصرح بذكر المشبه بـــه فيها ، ويطوى ذكر المشبه من البين .

والآخر : أن يحذف المشبه به ويبقى المشبه على أن يرمز للمشبه بـــه بذكر لازم من لوازمه يكون دليلاً على المحذوف ، ويطلقون على الاســـتعارة فى هذه الصورة الاستعارة المكنية .

ثم يعودون ويقسمون الاستعارة التصريحية قسمين آخرين أو نوعين :

إحداهما : الاستعارة الأصلية ، وضابطها : أن يكون المســـتعار فيـــها اسم جنس أو جامد لم يؤخذ من غيره كالمصادر ، مثل استعارة النور للعلـــم ، والحياة للإيمان والأسد للرجل الشجاع ، والعدل للعـــادل والنطـــق للإبانـــة ، والضحك لتفتح النَّوْر وهكذا ... وسميت أصلية لأنَّ المجاز جرى فيـــها فـــى نفس الكلمة ، بلا وساطة .

وثانيتهما : تبعية وضابطها أن يكون المستعار فيها فعـــلاً أو صفـــة مشتقة ، أو حرفاً من حروف المعانى . وسميت تبعية لأن المجاز جرى فـــى المصادر أولاً ثم سرى إلى فروعها .

وهذا كله جار فى الاستعارة المفردة دون المركبة (التمثيليـــة) التـــى مرَّ القول فيها . وسكوتهم عن تفصيل القول فى نسبتها هو الذى أملى علينـــا هذا السؤال هل التمثيلية تبعية ؟

ولا خلاف فى أنها استعارة تصريحية لانطباق ضابطها عليـــها فـــهى قد صرح فيها بالمشبه به وطوى ذكر المشبه . وبذلك صارت تصريحية قـــولاً واحداً .

ولكن إلى أى نوعى التصريحية تنتمى ؟ لم أجد فى كتاباتهم ما يحســـم الأمر فيها اللهم إلا ما ذكره بعض شـــراح التلخيـــص تعقيبـــاً علـــى قـــول الزمخشرى فى شرح قوله تعالى :﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقـــرة : ٥] فقد قال فيه : " ومعنى الاستعلاء فى قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُـــدًى ﴾ أنـــه مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم وتمسكهم به ، فشبهت حالهم بحـــال مـــن اعتلى الشىء وركبه (١) " وكلام الزمخشرى هنا لا نزاع فيه لجريـــه علـــى الأصول المقررة بلاغة ، ولكن بعض الشراح قال معلقاً عليه : يعنى أن هـــذه استعارة تمثيلية تبعية " أما التبعية فلجريانها أولاً فى متعلق معنـــى الحـــرف وتبعيتها فى الحرف وأما التمثيلية فلكون كل من طرفى التشبيه حالة منتزعـــة من عدة أمور (٢) " .

---

(١) الكشاف (١/١٤٢-١٤٣) .

(٢) شروح التلخيص ٤/١١٢-١١٣.

وقد دفع السيد هذا التوجيه ، واستدل على دفعه بأن طرفـــى التشـــبيه فى هذه الاستعارة مركبان فلا يكون معنى الحرف مشبهان أصالة حتى يمكـــن سراية التشبيه منه ، لأن التشبيه إنما وقع بين المركبين لا بين المفردين (١) .

هذا كلام السيد ، وهو دفع وجيه كما ترى . ونضيف إلى ما قاله السيد أن :-

(أ) الاستعارة التمثيلية تتكون من عدة ألفاظ كما تقـــدم بخـــلاف الأصليـــة والتبعية فكلتاهما تجريان فى المفردات . فمن اليسير فيهما تحديد حقيقـة المستعار من كونه جامداً أو مشتقاً ، وسيتبع ذلك تحديد الاستعارة نفسها أصلية هى أم تبعية ؟

أما التمثيلية فقد تتكون من جوامد ومشتقات معاً ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] صالح لإجراء التمثيليـــة فيه ، والتركيب جمع بين الحروف والفعل ، والعلم " موسى " والاسم الجـــامد (الغضب) فأيهما تراعى جهته ؟ ما يقتضى تبعيتها من الحرف والفعـــل ، أو ما يقتضى أصالتها من ﴿ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ هذه واحدة .

(ب) والثانية إن الاستعارة التمثيلية لا تجوز فى مفرداتها ، فهى مستعملة فـــى حقائقها اللغوية ، والتجوز واقع فى مجموع التركيب وكون الاســـتعارة أصلية أو تبعية منظور فيه إلى حقيقة اللفظ المنقول ، ولا نقـــل هنـــا ، فيمتنع كون الاستعارة التمثلية أصلية أو تبعية مع التسليم بأنها تصريحية لكون المصرح بذكره فيها الصورة المشبهة بها ، ويترتب على هـذا أن الاستعارة التصريحية ثلاثة أنواع لا نوعان ، والأنواع الثلاثة هى :

١- الاستعارة التصريحية الأصلية .

---

(١) حاشية السيد على الكشاف نفس الموضع .

٢- الاستعارة التصريحية التبعية .

٣- الاستعارة التصريحية التمثيلية .

التمثيل وصوره

يطلق التمثيل على أربعة معان أو صور :

١- التشبيه التمثيلى وهو حقيقة لغوية لم يصرح فيه بذكر المثل .

٢- التشبيه التمثيلى المصرح فيه بذكر المثل على نحو ما هو من البيان القرآنى والبيان النبوى ، وهو كسابقه حقيقة لغوية بيد أنه مثل خاص مضروب لحالة خاصة لا يتعداها لغيرها فمورده ومضربه واحد ، كالأمثال المضروبة للمنافقين وللحياة الدنيا فى القرآن الحكيم ، والأمثال المضروبة للعلم والهدى وللأنبياء وللجليس الصالح وجليس السوء فى البيان النبوى .

٣- المثل الذى له مورد ومضرب المشبه مضربه بمورده الذى له حظ من الشهرة .

٤- الاستعارة التمثيلية وهى نوعان :

(أ) تمثيل استعارى ليس مثلاً كقوله تعالى : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

(ب) تمثيل على حد الاستعارة شبيه بالمثل وليس بمثل لعدم الشهرة مثل : يخط على الماء ، ويرقم فى الهواء ، ويطرق فى حديد بارد . كلها بمعنى واحد إذا كان يعمل بلا جدوى .

الفهــرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحكمة والمثل والتمثيل	١١
ثناء النقاد على الحكم والأمثال	١٢
الدلاله اللغويه لمادة " حكم "	١٥
الدلاله اللغويه لمادة " مثل "	١٧
أدوات التمثيل	١٩
استعمال " مثل "	٢٤
الفروق بين الحكم والأمثال	٤٨
المثل والتمثيل	٥٥
معنى " الضرب " للأمثال	٦٠
هل التمثيلية تبعية؟	٦٧
التمثيل وصوره.....	٧٠
فهرس الموضوعات	٧١